المعنى السياسي لحصار تعز

من أدوات العقاب إلى هندسة الانقسام

سبتمبر 2025

المعنى السياسي لحصار تعز

من أدوات العقاب الى هندسة الانقسام

أعد الدراسة: **وسام محمد**

راجع الدراسة **الدكتور مصطفى الجبزي**

المركز الأمريكي للعدالة

سبتمبر 2025

المقدمة: ---------- 4
المنهجية: ---------- 4
الفصل الأول: سياق الحرب والحصار ---------- 5
سياق توغل الحوثين في تعز ---------- 5
الثوة الشبابية، المدخل الناعم---------- 5
المؤتمر... حصان طروادة الحوثي ---------- 6
السيطرة العسكرية واندلاع الحرب---------- 6
سياق تشكل الحصار---------- 8
الفصل الثاني: الحصار.. آليات وأهداف ---------- 9
جغرافيا الحصار---------- 9
ألوان القتل الممنهج----------10
في ظل هذه الجرائم، كيف يمكن فهم هذا السلوك الإجرامي؟----------11
الحرب من خلال الحاجات الضرورية للحياة ----------12
منع الماء... أقدم أشكال الحصار يعود مجدداً----------12
الأثر الصحي والبيئي نتيجة استخدام النفايات كأداة في الحصار ----------12
الاتصالات والانترنت في خدمة الحرب ----------13
داخل حدود السيطرة العسكرية: جحيم الإجراءات الأمنية والحصار بالخوف----------14
الفصل الثالث: تداعيات الحصار (السياسية، الاقتصادية والاجتماعية) ----------15
التداعيات السياسية: تشتيت قوة تعز ----------15
شل الفاعلية السياسية لتعز وطنياً ----------15
الاقتصاد السياسي للحصار ----------17
تبعات الحصار على التعليم... ضرب عصب التنشئة الجمهورية----------18
الحصار بدافع الانتقام ----------18
الخاتمة ----------20
جدول بتسلسل أحداث الحرب والحصار في تعز ----------21

المقدمة:

تمثل مدينة تعز، عاصمة المحافظة التي تحمل الاسم ذاته، والواقعة جنوب غرب اليمن، حالة استثنائية في الصراع اليمني الدائر منذ عام 2014. فبينما تدور المعارك في محافظات أخرى بشكل متقطع، ظلت تعز محاصرة عسكرياً منذ يوليو/تموز 2015، في واحد من أطول الحصارات العسكرية في التاريخ اليمني المعاصر. لم يُفرض الحصار لاعتبارات عسكرية فحسب، بل أصبح مشروعاً سياسياً معقداً خلّف معاناة هائلة للسكان، وأنتج تداعيات عميقة، مما جعله نقطة محورية في الصراع اليمني القائم. فمنذ بدء الحصار العسكري المفروض على مدينة تعز وأجزاء واسعة من ريف المحافظة، تحولت حياة الملايين إلى صراع يومي من أجل البقاء، حيث تفاقمت الأزمات الإنسانية، من نقص الغذاء والدواء والوقود، إلى تدهور الخدمات الأساسية وشلل الحياة الاقتصادية.

لكن، وراء هذه المعاناة الإنسانية الجسيمة، تكمن دوافع سياسية معقدة وآليات عمل منهجية، أسفرت عن آثار عميقة وشاملة طالت النسيجين الاجتماعي والاقتصادي، وغيّرت المشهدين السياسي والإداري للمحافظة، حتى باتت تلعب دوراً حاسماً في سياق الصراع الذي تشهده اليمن. وبهذا، فإن أبعاد هذا الحصار تتجاوز الاعتبارات الإنسانية والمنظور الحقوقي، لتلامس جوهر المعنى السياسي للحرب.

سبق أن كان موضوع الحصار في تعز قيد الاهتمام من قِبل مؤسسات حقوقية وسياسية عديدة، محلية ودولية، كما أُدرج ضمن اهتمامات لجان الخبراء الأمميين المعنيين باليمن. ومن هذه التقارير، على سبيل المثال لا الحصر: تقرير "اليمن: تعز... الحصار المميت" الصادر عن منظمة رايتس رادار لحقوق الإنسان، تموز/يوليو 2022م. وتقرير "محافظة تعز، مأساة إنسانية" الصادر عن المركز الأمريكي للعدالة (ACJ)، يوليو 2024. وتقرير "تعز... حصار في ظل النسيان" الصادر عن مركز المعلومات والتأهيل لحقوق الإنسان (HRITC)، 2024. إضافة إلى تقرير سابق لنفس المركز بعنوان "تعز.. الحصار الأطول في التاريخ"، الصادر عام 2019.

ركزت الكتابات سواء كانت دارسات وتقارير حقوقية أو مقالات صحفية في صحف ومواقع محلية ودولية والتي تناولت حصار تعز على الانتهاكات الإنسانية من منظور حقوقي، ومن منظور القانون الدولي الإنساني والاتفاقيات الدولية، وهو أمر مهم، لكنه يظل جهداً ناقصاً. ومع أن الحصار المفروض، وإن كان يُستخدم كوسيلة عسكرية، إلا أنه في جوهره أداة لتحقيق أهداف سياسية. ومع ذلك، لم يظهر حتى الآن اهتمام معرفي جاد بدراسة هذه المسألة من منظور سياسي أو حتى عسكري. وقد تناول بعض الباحثين آثار الحصار من الناحية الاقتصادية أو الاجتماعية، لكن دون ربطها بالسياق السياسي. إن الوعي بدوافع جماعة الحوثي في فرض حصار تعز، والآثار المدمرة الناتجة عنه، يشكّل مقدمة ضرورية لمواجهة هذا الواقع والحد من تداعياته. وهنا، يصبح من الضروري تبنّي منظور سياسي في قراءة حصار تعز.

ففهم المعنى السياسي لهذا الحصار، وكيف تحولت تعز من فاعل سياسي إلى رهينة دائمة في معادلة الصراع، يُعد أمراً ضرورياً لفهم الديناميكيات المعقدة للحرب المستمرة في اليمن.

تهدف هذه الورقة البحثية إلى بناء مقاربة شاملة لاستخلاص المعنى السياسي لحصار تعز. ولتحقيق ذلك، ستسعى الورقة أولاً إلى فهم الدوافع الحوثية الكامنة وراء هذا الحصار، متجاوزة السرديات السطحية، وصولاً إلى تحليل الأهداف الاستراتيجية والتكتيكية للجماعة. ثانياً، ستحلل الورقة آليات الحصار وكيفية عمله، بهدف الكشف عن الاستراتيجيات المستخدمة لإحكام السيطرة، وتأثيراتها المباشرة وغير المباشرة على السكان. وأخيراً، ستتناول الورقة الآثار العميقة والبعيدة المدى التي خلّفها الحصار على الجوانب السياسية والاجتماعية والاقتصادية، في محاولة لفك تشابك العلاقات بين هذه الجوانب، وتوضيح الكلفة الحقيقية للحصار على تعز ومستقبلها.

المنهجية:

لإعداد هذه الورقة، كان لا بد من إجراء مراجعة مكتبية للتقارير والدراسات التي تناولت موضوع الحصار، سواء تلك الصادرة عن السلطات الرسمية أو عن المنظمات المحلية والدولية، بالإضافة إلى مقالات الباحثين التي تناولت جوانب مختلفة من الموضوع. كما تم الاعتماد على إحصائيات التقرير الحقوقي الصادر عن المركز الأمريكي للعدالة بعنوان "حصار تعز: مأساة إنسانية"- كونه الأحدث والأشمل في تغطية المدة الزمنية لحصار تعز، إلى جانب إجراء عدد من المقابلات مع أشخاص ذوي صلة بموضوع الورقة البحثية، ومن خلفيات متعددة. وقد تم إجراء 17 مقابلة، سواء بشكل مباشر أو عبر الهاتف[1].

تتناول هذه الورقة مسألة الحصار في ثلاثة فصول رئيسية: يتناول الفصل الأول سياق الحرب والحصار بهدف فهم الدوافع الرئيسية لجماعة الحوثي. أما الفصل الثاني، فيركز على آليات الحصار وأهدافه. في حين يناقش الفصل الثالث التداعيات السياسية والاجتماعية والاقتصادية العميقة للحصار، والتي تشكل بمجموعها المعنى السياسي لهذا الحصار.

[1] وضعت أسماء بعض من أجريت معهم المقابلات وحجبت هوية البعض الآخر بناء على طلبهم.

الفصل الأول: سياق الحرب والحصار

لفهم حصار تعز بشكل شامل، ينبغي أولاً العودة إلى جذور الأحداث التي تشكّل خلالها هذا الحصار وتبلورت ملامحه. فالحصار، وإن كان في أصله تكتيكاً عسكرياً بفرض طوق على مكان حصين[2] ويُستخدم عندما يعجز المعتدي عن تحقيق هدفه بالسيطرة المباشرة، إلا أنه يتحوّل إلى إجراء سياسي واقتصادي وأداة عقابية. وفي الحالة اليمنية، جاء الحصار تتويجاً لسلسلة من التطورات المتراكمة والتفاعلات المعقدة التي شكّلت مشهد الصراع والحرب. وقد لجأ من فرض الحصار إلى أكثر التكتيكات قسوة وانتهاكاً للمعايير الإنسانية في الحروب: حرمان المدنيين بشكل جذري، متعمّد، ومنهجي من الحاجات الأساسية اللازمة لبقائهم على قيد الحياة.

سيتناول هذا الجزء من الورقة السياق التاريخي، والسياسي، والعسكري الذي جعل من تعز هدفاً لهذا الحصار، وذلك من خلال تتبّع علاقتها - كمدينة ومحافظة - بجماعة الحوثي، وتموضعها في الأحداث السياسية اليمنية خلال العقدين الأخيرين. وسيستعرض هذا القسم النقاط المفصلية والأحداث المحورية التي أسهمت في تصاعد التوترات وتغيّر موازين القوى، وصولاً إلى اللحظة التي تحوّل فيها الحصار من أداة انتقام إلى خيار استراتيجي معتمد من قِبل جماعة الحوثي.

سياق توغل الحوثيين في تعز

كان الظهور الأولي للحركة الحوثية في الحيز العام في بداية الألفين، مدموغاً بمطالبات ثقافية مذهبية، وبحركة تمرد عسكري على نظام دولة تتآكل سلطته. ولم تكن هذه الحالة تثير على نحو خاص حساسية محافظة تعز، التي تتنوع فيها التيارات السياسية والأيديولوجية، مع حضور وازن لأحزاب معارضة لنظام صالح. ثم إن الوجه الطائفي والعسكري للحوثية لم يتبدَّ إلا مع الوقت.

الثورة الشبابية، المدخل الناعم

تميزت تعز بالفاعلية الثورية منذ اندلاع ثورة فبراير/شباط 2011، لكن يمكن القول إن الوعي السياسي بخطر المشروع الإمامي الحوثي كان ضعيفاً، وأقل مما هو عليه في باقي محافظات شمال اليمن التي احتك سكانها بجماعة الحوثي وخاضوا صراعات في مواجهتها، فعرفوها وعرفوا خطورة مشروعها، أو لطبيعة بنية الجيش في اليمن التي كانت حصة أبناء بعض المحافظات فيها أقل من غيرها[3]. الانخراط في الصراع ينعكس في الوعي الاجتماعي وهو ما غاب عن تعز[4].

وبعد اندلاع ثورة الشباب في بداية عام 2011، اتخذت الجماعة الحوثية مسلكاً سياسياً مغايراً، غايته التمدد الأيديولوجي وفتح قنوات تواصل مع شرائح اجتماعية وسياسية متعددة لتحسين صورتها وتحقيق اختراق اجتماعي وسياسي. ولعل هذا يفسر لماذا لم يُثر تواجد حوثيين في ساحة الحرية في تعز خلال الأشهر الأولى من الثورة أية حساسية تذكر. اشتغلت الجماعة الحوثية على الرموز الجهوية والسياسية والحزبية التي تثير اهتمام أبناء محافظة تعز، لتنغمس فيها وتضع رموزها في مقام تلك الرموز. فرُفِعت صور حسين الحوثي في المظاهرات إلى جانب صور إبراهيم الحمدي، وعبد القادر سعيد، وجار الله عمر، وعبد الفتاح إسماعيل.

بدأ الحوثيون يوفدون أشخاصاً من صعدة إلى ساحة الحرية، وكانوا يتجمعون ليلاً في المدرسة المهجورة المجاورة للساحة، حيث يرددون أناشيدهم الخاصة، مما دفع الناس للتجمع حولهم بدافع الفضول. كانت الأحزاب السياسية التي هي في حقيقتها تعبيراً مذهبياً وأقرب إلى أن تكون جماعة ضغط نخبوية على اتصال بالزيدية مثل حزب الحق وسيلة توغل حوثية في الوسط الحزبي في تعز. عبر هذا الحزب، بدأ الحوثيون ينسجون علاقات مع بعض الشخصيات السياسية والناشطين الفاعلين، مستثمرين الخلافات التي كانت سائدة بين القوى السياسية، ومستثمرين أيضاً الخطاب الثوري العالي لدى بعض الشباب، وافتراقهم مع بعض القوى السياسية في الساحة الثورية. ويتذكر شاب ممن شاركوا في إشعال شرارة الثورة في تعز أن المرة الأولى التي سمع فيها بشيء اسمه "المسيرة القرآنية" كانت من حديث مع أحد أبناء قيادي في حزب الحق في تعز، عندما أخبره أنه لا ينتمي للحزب، لكنه يتبع المسيرة القرآنية التي يقودها عبد الملك الحوثي، وأنه التحق بها بعد زيارته لصعدة واشتراكه في دورات ثقافية وأخرى في استخدام السلاح[5].

كان الصراع الحقيقي في الشارع، حيث باتت هناك مسيرات ينسق لها الإصلاح من وقت لآخر ويشارك فيها الجميع، وهناك مسيرات يومية يقودها شباب يتبنون خطاباً ثورياً راديكالياً ويخاطرون بحياتهم من خلال المرور وسط الأحياء القديمة والمناطق ذات الحضور القوي لقواعد نظام علي عبد الله صالح. اقترب الحوثيون من هذا التيار

---

[2] سامي عوض، معجم المصطلحات العسكرية، دار أسامة للنشر، عمّان الأردن، ط1 ، 2008.

[3] بما أن تعز أقل انخراطًا في المجال العسكري، فإنها كانت أقل تأثرًا بنتائج حروب صعدة الست، التي اندلعت منذ عام 2004 وحتى عام 2010. بالمقابل سجلت محافظة إب، مثلًا، وفق اعتراف الحوثيين، العدد الأكبر من الجنود المقاتلين أثناء صراع الجماعة مع الدولة في صعدة. وردت المعلومة في دراسة مسربة عن محافظة إب، أجراها الحوثيون في مارس/ آذار 2013، من خلال مسح عام للمحافظة (تركيبتها الاجتماعية، علاقتها الداخلية، جغرافيتها، الانتماء المذهبي والسياسي والشخصيات المؤثرة) ودراسة ما يناسبها من عمل (الجهادي، التبليغ، الاجتماعي، التربوي...إلخ).

[4] أتاح غياب الانخراط في الصراع، ومع حضور المماحكات السياسية، ألا تتشكل معركة فكرية في مواجهة جماعة الحوثي في تعز، كما كانت الحال في باقي محافظات شمال اليمن، ولو بالأدوات التقليدية المعروفة، كخطب الجمعة والإعلام. وبغض النظر عن النتائج التي حققتها تلك المواجهات الفكرية في المحافظات الأخرى، فإن تعز، علاوة على غياب المواجهة المسلحة، غابت فيها أيضًا المواجهة الفكرية. ويتذكر الباحث أن أحد خطباء الجمعة في تعز، والذي نال شهرة واسعة وكان يُوصَف بـ"المجدّد"، كان خلال فترة الحرب في صعدة يُمَجِّد الشيعة، وهو ما استقطب اهتماماً واسعاً بين الناس. وفي حين كان يُنظر إلى الحوثيين في المستوى السياسي الفوقي كمعارضين لنظام علي عبد الله صالح، فإن النظرة إليهم في تعز امتدت إلى المستوى الشعبي أيضاً؛ إذ اعتُبروا أبطالاً طالما أنهم يواجهون نظام صالح. ولم يكن هناك اهتمام يُذكر بمحاولة معرفة حقيقة الجماعة أو مشروعها.

[5] مقابلة مع احد الشباب الذين شاركوا في أحداث ثورة فبراير 2011، أجريت بتاريخ 14 مارس/ آذار.

الذي كان يتشكل عفوياً من شباب مستقلين واشتراكيين وناصريين، ومن المحيطين بالنائب البرلماني سلطان السامعي. ورغم أن هذا التيار كان يتكوّن من عشرات الأشخاص، ومن يتفاعلون معهم يومياً بالكاد يتجاوز عددهم بضع مئات، إلا أنهم كانوا يعكسون المزاج الحقيقي للشارع في تعز، وقد تُوجت فاعليتهم بقيادة "مسيرة الحياة" من تعز إلى صنعاء في ديسمبر 2011[6]. ومع تحول المبادرة الخليجية إلى واقع، تمكن الحوثي، تحت مبرر رفض المبادرة، من استقطاب عدد كبير من شباب هذا التيار.

المؤتمر... حصان طروادة الحوثي

منذ 2012، بدأ العمل المنظم للحوثيين في تعز، فقد افتتحوا مقراً رئيسياً لهم في حي الجحملية، وهو أحد الأحياء التي ظل يغلب على سكانها الولاء لعلي عبد الله صالح، كون معظمهم كانوا يعملون في الدولة، ووفق مفهومهم فإن الدولة هي النظام، والنظام هو علي عبد الله صالح. كما افتتحوا مقراً آخر في الحوبان (المدخل الشرقي لتعز)، ومقراً ثالثاً في منطقة التربة (المدخل الجنوبي لتعز). ويلاحظ أحد الشباب الذين قادوا المظاهرات المناوئة للحوثيين قبل أسابيع من اندلاع الحرب، أن الحوثيين اختاروا دائماً الأطراف لإعلان تواجدهم، سواء من خلال المقرات أو حتى عند بدء السيطرة على المؤسسات الحكومية[7].

كذلك، فإن التحالف بين علي عبد الله صالح والحوثي، الذي أخذ يتضح تدريجياً، جعل بعض قواعد المؤتمر تسهّل وصول الحوثيين إلى أرياف تعز، وعقد تجمعات دورية في القرى، واستمالة الشخصيات المؤثرة، وأيضاً الأشخاص الذين كانوا يشعرون بالتهميش بفعل التحولات التي أفرزتها الثورة. في تلك التجمعات، كانت تُعرض أفلام عن حروب صعدة وتُقرأ أدبيات الحوثيين. وكان من الواضح أن تعز لا تحتاج إلى جهد كبير للسيطرة عليها، كون سكانها غير ميالين لحمل السلاح، ولديهم قابلية للتجاوب مع أي طرف يبدي فاعلية ويتبنى خطاباً ثورياً. ولعل هذه القناعة قد تعززت لدى الحوثيين بعد دراستهم لمجتمع تعز بدقة[8].

السيطرة العسكرية واندلاع الحرب

تجدر الإشارة إلى أن الحرب التي دشّنها الحوثيون في صيف العام 2014 لم تكن حربهم وحدهم، بل كانت خلاصة تحالف جمعهم بالرئيس السابق علي عبد الله صالح. وإذا ما اقتصر تناولنا هنا على الوضع في تعز، فإن لكلٍّ من الحوثيين وصالح أسباباً خاصة لخوض حرب تحوّلت في المدينة إلى حصار خانق.

لم تكن علاقة تعز بالسلطة القائمة منذ عهد صالح علاقة أنموذجية؛ فعلى الرغم من قدرة صالح، عبر حزبه، على استمالة عددٍ مهمٍ من أبناء تعز، فقد تضافرت عوامل عديدة جعلت هذه العلاقة تتسم بالحذر المتبادل. إذ تعامل صالح مع تعز بقلق نابع من أسباب متعددة، من أبرزها مواجهته في بداية حكمه لمحاولة انقلاب كان معظم قادته من أبناء تعز.[9]، بالإضافة إلى المزاج العام في تعز الذي ظل وفياً لمرحلة الرئيس إبراهيم الحمدي. وقد رافق هذا القلق صالح حتى بعد استقرار حكمه، فعمل على تطويق تعز بالمحاذير، أو محو ذاكرتها المرتبطة بالحمدي[10].

---

[6] عاش الباحث هذه المرحلة وكان منخرطا في أحداث الثورة وعلى اطلاع بمسار الأحداث.

[7] مقابلة مع طارق القدسي، عضو الهيئة القيادية في القطاع الطلابي للحزب الاشتراكي اليمني في جامعة تعز عندما اندلعت الحرب، أجريت بتاريخ 27 مارس/ آذار 2025.

[8] كشف احد الأفلام الوثاقية التي تناولت تلك الفترة ن مطلع العام 2013، قامت جماعة الحوثي بإعداد دراسات مسحية للمحافظات، حول طبائع المجتمع وحواله، ومسح القوى الفاعلة فيه (دينية، عسكرية، جمعيات...الخ)، والفئات (علماء، تجار، أكاديميين..)، وحتى مسح الاثار والمعالم الدينية والثروات المعدنية، ولابد ان تكون دراستهم للمجتمع في تعز قد حفزتهم للسيطرة عليها بالقوة العسكرية، كون المجتمع مسالم ولا يميل لحمل السلاح. انظر، وثائقي نشرته قناة الجزيرة بعنوان: "الصندوق الأسود – الطريق إلى صنعاء".

[9] المقصود انقلاب الناصرين في أكتوبر/ تشرين الأول 1978، بعد ثلاثة أشهر من تولي علي عبدالله صالح رئاسة البلاد.

[10] مقابلة عبر الهاتف مع فوزي العريقي، الباحث في التاريخ السياسي اليمني الحديث، 13 مارس/ أذار 2025.

شكل رقم 1: المعسكرات المحيطة بتعز قبل الحصار الحوثي

عندما بدأ الحوثيون إرسال قواتهم إلى معسكر الأمن المركزي في تعز استعداداً لمهاجمة عدن، سلّم لهم قادة الألوية المحيطة بالمدينة المعسكرات بسهولة وذلك بفضل التحالف مع صالح، إلى جانب دور التركيبة البنيوية الجهوية الطابع لتلك القوات والجوهر العصبوي للتحالف بين صالح والحوثي[11]. ولم يتبقَ من القيادات العسكرية الرافضة سوى قائد اللواء 35 مدرع، العميد عدنان الحمادي وهو أحد ابناء محافظة تعز، الذي كان قد صدر له قرار تعيين حديث. فقد رفض التسليم، رغم أن من تبقى معه لم يكن يتجاوز قوام كتيبة، بعد أن سلّم معظم ضباط اللواء للحوثيين. إلا أن موقفه بدأ يتعزز مع خروج المظاهرات الرافضة لقدوم تلك القوات إلى تعز، ومرورها باتجاه عدن.

قال الحوثيون عند قدومهم إلى تعز إن هدفهم الوحيد هو فتح الطريق إلى عدن، وليس السيطرة على تعز بحد ذاتها، لكنهم قوبلوا برفض شعبي واسع، تمثّل في مظاهرات عارمة رفضت وجودهم ومطالبهم، معتبرة أنهم قوات غير شرعية تقاتل ضد الرئيس الشرعي عبد ربه منصور هادي[12]. وقد سقط قتلى وجرحى قرب معسكر الأمن المركزي، فتحوّلت المظاهرات إلى موجات غضب اجتاحت شوارع المدينة[13]. واستعادت القوى السياسية فاعليتها، وألقت بثقلها خلف الشباب الرافضين للوجود الحوثي ولتحرك قواتهم نحو عدن. وهكذا، بدأت تعز تستعيد روحها الثورية، وتوحدت قواها السياسية والاجتماعية في مواجهة تحالف الحوثي/صالح، خاصة بعد إعلان الانقلاب على الرئيس الانتقالي عبد ربه منصور هادي. وقد أسهم هذا التوحد بشكل كبير في إسناد قائد اللواء 35 مدرع ومن تبقى معه، عندما اندلعت المعارك في محيط مقر اللواء[14].

بعد سيطرتهم على معظم المعسكرات، بدأ الحوثيون بالهيمنة على مؤسسات الدولة في تعز، ثم شرعوا في التوجه نحو عدن عبر مدينة التربة (أقصى جنوب محافظة تعز)، في محاولة لتوسيع سيطرتهم وتعزيز وجودهم في المحافظة. غير أن شرارة المقاومة المسلحة انطلقت من هناك، وخلال أيام قليلة أصبحت التربة أول مدينة يمنية تتحرر من الحوثيين بعد دخولهم إليها، وكان ذلك في 25 مارس/آذار 2015، أي قبل يوم واحد فقط من تدخل التحالف العربي.

---

[11] يوضح الباحث السياسي معن دماج أن تحالف الحوثي وصالح قام على أساس عصبي، بحجة أن الفيدرالية ستخرج السلطة من المنطقة الشمالية، وستحرم الجنود والضباط الذين يعتمدون على الدولة من مصدر رزقهم.
للمزيد، يُرجى الاطلاع على نسخة من مقال الكاتب: "اليمن: الثورة، الثورة المضادة، الحرب الأهلية والتدخل الخارجي"، مجلة الراصد (تونس)، العدد الثالث، فبراير ٢٠١٩. https://drive.google.com/file/d/1TtfcHNKm5NgA9DhwgoYLf2lMgtAmT4LP/view?usp=drivesdk

[12] توفيق الجند، تعز... جنوب الشمال وشمال الجنوب، مركز صنعاء للدراسات الإستراتيجية، 17 أبريل/نيسان 2018.
https://sanaacenter.org/ar/publications-all/analysis-ar/5631

[13] المظاهرات المناهضة لوصول المجندين إلى معسكر القوات الخاصة (الأمن المركزي) في تعز اندلعت في نفس ليلة وصولهم. انطلقت مسيرة ليلية نحو بوابة المعسكر، حيث ربط عدد من الشباب أنفسهم طوال الليل في الشارع أمام مبنى المعسكر، وظلوا هناك حتى الصباح. وفي صباح اليوم التالي، وصلت المسيرة إلى أمام المعسكر، واستمرت الاحتجاجات اليومية حتى تاريخ 25 مارس. في 25 مارس/آذار، شهدت تعز أكبر مسيرة جماهيرية في عام 2014، ومن بين أكبر المسيرات في تاريخ المحافظة، حيث وصلت إلى أمام بوابة معسكر القوات الخاصة، وكان ذلك في نفس اليوم الذي اجتاحت فيه قوات الحوثيين مدينة عدن.

[14] في أول لقاء صحفي أجري معه بعد أشهر من اندلاع الحرب، أوضح العميد عدنان الحمادي أن جميع القوى السياسية في تعز قد أسهمت في إسناد صمود اللواء، من خلال رفده بمقاتلين من مختلف المديريات، وهو ما مكّنهم من الصمود لمدة 14 يوماً، رغم الاختلال الكبير في موازين القوى. انظر، الموقع بوست – الاشتراكي نت. "العميد عدنان الحمادي: شوقي هائل طلب مني عدم الذهاب إلى اللواء 35 بتعز... وهذه أسرار سقوط المعسكر." 18 سبتمبر 2015.

وفي 7 أبريل/نيسان 2015، وبعد أيام من التوترات والاشتباكات بين قوات من اللواء 35 مدرع وقوات الحوثيين، سقط عدد من القتلى والجرحى من الجانبين، ليبدأ الحوثيون هجومهم للسيطرة على مقر اللواء. وقد صمد المقر مدة 14 يوماً، ولم يسقط إلا بعد أن تمكّن من ترسيخ الأساس المعنوي والعسكري لانطلاق المقاومة الشعبية، من خلال الأسلحة التي تم توزيعها على المجموعات الأولى المقاتلة، والدور الرمزي للمقاومة التي انطلقت هناك[15].

سياق تشكل الحصار

خلال الأسابيع الأولى من الحرب، التي بدأت في السابع من أبريل/نيسان 2015، كان مسلحو الحوثي على الحواجز الأمنية المنصوبة على مداخل مدينة تعز لا يزالون يحيّون المارة ويرددون جملة "أي خدمات"، وهي العبارة التي برزت بعد إعلان انقلابهم وسيطرتهم على المعسكرات ومداخل ومخارج المدن. كانوا يقتصرون على إغلاق المداخل الرئيسية أمام المركبات، بينما كان يسمح للمترجلين بالدخول والخروج مشياً عبر تلك المداخل، كما كانت هناك طرق فرعية لعبور المسافرين[16]. ولكن، مع تشكل المقاومة الشعبية وخوضها معارك شرسة تمكنت خلالها من إبعادهم إلى أطراف المدينة، ذابت تلك الأعراف وتحولت الإجراءات إلى ما يمكن وصفه بأفعال انتقامية.

تمكنت المقاومة الشعبية من تحرير مناطق واسعة وسط مدينة تعز، وطردت الحوثيين وقوات الحرس الجمهوري من مواقع استراتيجية في المدينة مثل قلعة القاهرة، ومعسكر الأمن السياسي، ومبنى إدارة شرطة المحافظة، ومقر قيادة محور تعز، ومقر قيادة الشرطة العسكرية في منطقة العرضي[17]. عقب تلك الهزائم المتلاحقة، أُغلقت جميع الطرق من وإلى تعز، بما في ذلك الطرق الفرعية، ولم يتبق سوى معبر الدحي الذي شهد انتهاكات متعددة بحق الداخلين والخارجين. منع المسلحون دخول الأدوية والإمدادات الطبية، كما حظروا إدخال الأكسجين إلى المستشفيات.

وبهذا، بدأ الحصار يتشكل على وقع الانكسارات العسكرية لجماعة الحوثي وقوات صالح. انطلقت المقاومة من قلب المدينة، بينما ظلت قوات صالح والحوثي تسيطر على مفاصل الحركة من وإلى المدينة وتسببت بذلك بأعمال مؤذية، كما ورد في تقرير لجنة خبراء الأمم المتحدة للجنة حقوق الإنسان[18].

تمكنت المقاومة الشعبية من استعادة مواقع كثيرة في جبل صبر و تحرير مناطق واسعة وسط مدينة تعز والسيطرة على مقرات مؤسسية مهمة. عقب تلك الهزائم المتلاحقة، أُغلقت جميع الطرق من وإلى تعز، بما في ذلك الطرق الفرعية، ولم يتبقَّ سوى معبر الدحي، الذي شهد انتهاكات متعددة بحق الداخلين والخارجين. اشتد الحصار وعلى إثره، قام المسلحون الحوثيون بمنع دخول الأدوية والإمدادات الطبية، كما حظروا إدخال الأكسجين إلى المستشفيات[19].

بعد فقدان السيطرة على قلب المدينة، اتجهت قوات الحوثي وصالح نحو إحكام قبضتها على المناطق الريفية المحيطة، لا سيما مديرية المسراخ، حتى وصلت إلى سوق نجد قسيم في الريف الجنوبي لتعز. هناك، قامت بقطع الطريق الرئيسي الذي يربط مدينة تعز بريف الحجرية جهة الجنوب الشرقي، مع تشديد الحصار أيضًا على المنفذ الغربي المؤدي إلى طريق المخا- الحديدة، وكذلك المنفذ الشمالي باتجاه الحوبان- صنعاء. قاد الجيش الذي تشكّل حديثًا إلى جانب المقاومة الشعبية معارك لفك الحصار عبر طريق التربة، في محاولة ناجحة نسبياً أسفرت عن كسر الحصار جزئياً. ورغم هذه الخسائر، واصلت قوات الحوثي وصالح بذل أقصى جهودها لاستعادة السيطرة على المدينة، التي بات كل من يقيم فيها يُعامَل كعدو، ويتعرض لحصار خانق وقصف ممنهج. فتوسع الحصار وتواصل وأصبح مشروعاً سياسياً واستراتيجية عسكرية دائمة لقوات الحوثي وصالح.

بعد أن تناولنا في هذه السطور تسلسل الأحداث والدينامية التي قادت إلى فرض الحصار، سننتقل في الجزء التالي إلى تناول البعد السياسي لهذا الحصار ودوافعه الانتقامية.

---

[15] المرجع نفسه.

[16] Annual report of the United Nations High Commissioner for Human Rights and reports of the Office of the High Commissioner and the Secretary-General, p, 9.

[17] مقابلة مع أحد الشباب الذين كانوا يعملون على اسناد المقاومة الشعبية في الأشهر الأولى من الحرب.

[18] Annual report of the United Nation, *Op.cit*.

[19] تقرير ضحايا حصار الأكسجين في مدينة تعز حتى منتصف يناير 2016، منظمة شهود للحقوق والحريات العامة، 4 مارس/آذار 2016. انظر صحفة المنظمة على الفيسبوك: https://www.facebook.com/Witnesses.Org/photos/a.1662241010719411/1691526657790846/?type=3&app=fbl

الفصل الثاني: الحصار.. آليات وأهداف

في حصارهم لتعز، استخدم الحوثيون آليات متعددة لتثبيت الحصار، من بينها توسيعه ليشمل جميع المناطق الواقعة خارج نطاق سيطرتهم، وتبني إجراءات عقابية بحق السكان باعتبارهم أعداء، دون تمييز بين مدني وعسكري. ولم يقتصر هذا الحصار على سكان المناطق "العدوة" فقط، بل شمل أيضًا التنكيل بمعظم سكان تعز على نحو عام. وإذا كانت هذه الآليات توضّح الأهداف التي يسعى الحوثيون لتحقيقها من وراء فرض الحصار على تعز، فإن شموليته حولته إلى استراتيجية عسكرية متكاملة، تكشف بوضوح حقيقة مشروع الحوثي باعتباره مشروعًا طائفيًا قائمًا على القتل والإفناء.

جغرافيا الحصار

مضى عقد كامل منذ أن بدأت جماعة الحوثي بفرض حصارها على مدينة تعز، مركز المحافظة التي تتكون من ثلاث مديريات، وكان عدد سكانها قبل الحرب يصل إلى نحو 600 ألف نسمة، ثم تقلص هذا العدد إلى قرابة النصف جراء الحرب والحصار. لكن الحصار لم يقتصر على حدود المدينة من ثلاث جهات فقط، بل يكاد يشمل كامل المحافظة، التي يبلغ عدد سكانها نحو أربعة ملايين نسمة. وتمتد المحافظة على مساحة تُقدّر بنحو 12,605 كيلومترات مربعة، وهي مساحة تتجاوز مساحة دولة مثل لبنان، فضلًا عن موقعها الجغرافي الاستراتيجي الذي يطل على واحد من أهم الممرات المائية في العالم، وهو مضيق باب المندب، إضافة إلى توسطها موقعاً حيوياً بالمعنى الجيوسياسي يربط شمال اليمن بجنوبه.

تضم تعز اليوم نحو 27 جبهة عسكرية مشتعلة، موزّعة على 11 مديرية تبدأ من محيط المدينة من الجهات الثلاث (شرق، شمال، غرب)، وتمتد إلى أجزاء مختلفة من ريف المحافظة. وتكشف هذه الخريطة العسكرية عن استراتيجية الحرب الحوثية التي تتجاوز الفضاء الحضري، لتؤثر بعمق على حياة سكان الريف وتفرض أنماطاً جديدة من العنف والرقابة[20].

[20] تُعد الحدود الشرقية والشمالية والغربية لمدينة تعز جبهات عسكرية مفتوحة قابلة للاشتعال في اي لحظة بل وتشهد مناوشات من حين لآخر على الرغم من وجود هدنة غير رسمية في اليمن سارية منذ 2022 ، لكن يمكن تقسيمها إلى جبهات محددة ومعروفة. ففي مديرية صالة شرق المدينة، توجد أربع جبهات عسكرية رئيسية: جبهة القصر، جبهة التشريفات، جبهة وادي صالة، وجبهة عقبة منيف. أما في مديرية القاهرة، شمال شرق المدينة، فتوجد أيضًا أربع جبهات: جبهة كلابة، جبهة جبل جرة، جبهة وادي الزنوج، وجبهة الأربعين. وفي مديرية التعزية شمال غرب المدينة، هناك سبع جبهات عسكرية: جبهة معسكر الدفاع الجوي، جبهة معسكر اللواء 35 (المطار القديم)، جبهة وادي حنش، جبهة مدرات، جبهة جبل هان، جبهة حذران، وجبهة الصياحي.
وفي ريف محافظة تعز، تشتعل ما لا يقل عن 12 جبهة عسكرية موزعة على عدة مديريات، على النحو التالي: مديرية صبر الموادم جنوب شرق المدينة: جبهة العريش الكريفات، وجبهة الشقب. مديرية صبر المسراخ جنوب المدينة: جبهة الأقروض. مديرية جبل حبشي غرب المدينة: جبهة العنين بلاد الوافي، جبهة الضباب الكربة والتبة السوداء، وجبهة الأحطوب. مديرية مقبنة: جبهة حمير وجبهة الطوير. مديرية المعافر غرب تعز: جبهة الكدحة. مديرية الصلو: جبهة الصيار. مديرية المواسط: جبهة قدس الزبيرة. مديرية حيفان: جبهة الأحكوم. إضافةً إلى ذلك، هناك جبهات ممتدة على الساحل الغربي في المناطق الواقعة تحت سيطرة الحوثيين، وأخرى تحت سيطرة المقاومة الوطنية. انظر الى شكل رقم 2 أدناه.

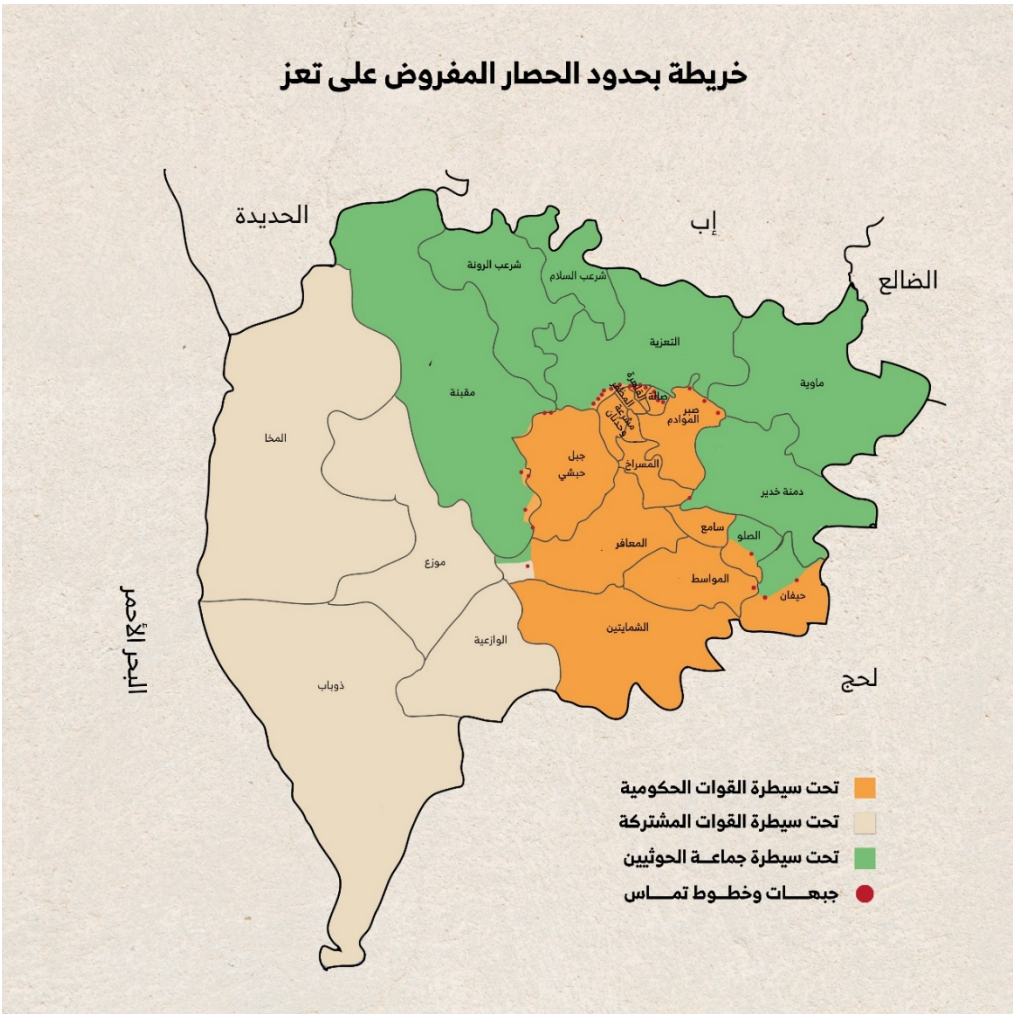

شكل رقم 2: خارطة السيطرة في محافظة تعز

ألوان القتل الممنهج

لم تكتفِ جماعة الحوثي بفرض حصار صارم على مدينة تعز، مستفيدةً من سيطرتها على المنافذ البرّية والمرتفعات الجبلية المطلة على المدينة، بل لجأت أيضاً إلى استخدام القذائف والمقذوفات والقنّاصة لممارسة أعمال قتل لا يمكن تبريرها بأي هدف عسكري مشروع. حوّل الحوثيون التلال المحيطة بمدينة تعز إلى مواقع عسكرية، ومنها ظلّوا يقصفون الأحياء المدنية بشكل متعمّد. فالأمر لم يقتصر على قصف مواقع عسكرية ينتج عنه أضرار جانبية، بل كان استهدافاً مباشراً للمدنيين[21]. وسنورد لاحقاً مجموعة من الحوادث ذات الدلالة الرمزية التي يتبيّن منها أن القصف تجاوز الأهداف العسكرية التي تهدف إلى تحييد الخصم، ليصبح وسيلة انتقام جماعي.

فعلى سبيل المثال، في 15 يونيو/حزيران 2015، تعمّد الحوثيون قصف مستشفى الثورة رداً على قيام طاقمه بإسعاف جرحى اللواء 35. أما الإمعان في قصف المدنيين العزّل فقد ظلّ بلا تفسير. لقد شكّل صمود سكان مدينة تعز وعدم مغادرتهم تحدّياً كبيراً للجماعة إلى درجة أن الجماعة الحوثية باتت تعتبر كل من بقي داخل المدينة عدواً يجب الانتقام منه.

[21] وثّق المركز الأمريكي للعدالة (ACJ)، خلال ثمانية أعوام، سقوط (1778) قتيلاً، منهم (529) طفلاً و(228) امرأة و(1021) رجلاً، بالإضافة إلى إصابة (4427) شخصاً، منهم (1717) طفلاً و(691) امرأة و(2019) رجلاً، في 7 مديريات. أي أن القصف، إلى جانب المديريات الثلاث داخل المدينة والتي كانت مديرية صالة فيها الأعلى نسبة وفقًا للتقرير، شمل أيضاً 4 مديريات ريفية أخرى. وتجدر الإشارة إلى أن صالة كانت المديرية التي كان لجماعة الحوثي حضور كبير فيها، واختارت أن يكون مقرها الرئيسي هناك، كما بيّنّا في الفصل السابق. أنظر : حصار تعز.. مأساة إنسانية، المركز الأمريكي للعدالة، يوليو/تموز 2024. https://acjus.org/ar/siege-of-taiz/

وكانت إحدى جرائم القصف التي يصعب تفسيرها خارج سياق الانتقام، تلك التي وقعت في 2 يوليو/تموز 2017، حين استهدف القصف تجمعاً لأطفال في حي حوض الأشراف أثناء محاولتهم جلب المياه من خزان توقره جمعيات خيرية في الحي. أسفر القصف عن مقتل أربعة أطفال وإصابة 12 آخرين[22]. ولا تزال العبوات البلاستيكية التي كان الأطفال سيملؤونها بالماء شاهدة على الجريمة، حيث قام أهالي الضحايا بتعليقها على الجدار وكتبوا على كل عبوة اسم الطفل الذي قُتل أو جُرح.

وفي أغسطس/آب 2015، وهو الشهر الذي شهد هزيمة الحوثيين في مديرية مشرعة وحدنان[23] وخسارتهم لمواقعهم العسكرية داخل المدينة، وثّقت منظمة «هيومن رايتس ووتش» ثلاث عمليات قصف استهدفت مدنيين وأدت إلى مقتل 14 شخصًا، بينهم خمس نساء وخمسة أطفال[24]. كما أفاد المفوض السامي للأمم المتحدة لحقوق الإنسان أن أعمال القصف والقنص من قبل الحوثيين أسفرت عن مقتل 42 مدنيًا على الأقل في أحياء تعز خلال النصف الثاني من أغسطس/آب 2015.

إلى جانب عمليات القصف المستمرة التي تستهدف المدنيين، هناك القناصة الذين يتمركزون خلف خطوط القتال ويمارسون تصفية المدنيين الذين يقعون تحت ناظري بنادقهم وتصل إليهم رصاصاتهم. وأكثر الضحايا تعرضًا للقنص هم السكان القاطنون على أطراف المناطق العالقة والمحاصرة، وغالبًا ما يُصابون أثناء خروجهم من منازلهم لجلب الماء أو الحطب أو للزراعة والرعي، أو أثناء عودة النازحين لتفقد منازلهم، وكذلك أثناء ذهاب أو عودة الطلاب من المدارس[25]. وأبرز مثال على ذلك الطفلة رويدا، المعروفة إعلاميًا بـ"طفلة الماء"، التي أُصيبت برصاصة قناص قاتلة أثناء ذهابها لجلب الماء من أحد الخزانات القريبة في حي الروضة شمال شرق مدينة تعز[26].

يقول أحد الناشطين الذين وثقوا الجريمة إن المسافة التي تفصل بين القناص وخزان المياه كانت تسمح له بتمييز بالعين المجردة أن الهدف طفلة، وأنه لا وجود لهدف عسكري في ذلك المكان، خاصة وأن القناص كان يستخدم ناظوراً[27].

كما استخدمت قوات الحوثيين الألغام الأرضية المضادة للأفراد المحظورة، وزرعتها عشوائياً حول المدينة وفي الطرق، بما في ذلك في الأرياف التي شهدت اشتباكات مسلحة، وأيضاً في الطرق المؤدية إلى مصادر المياه[28]. تصدرت محافظة تعز أعلى نسبة من الضحايا المدنيين نتيجة الألغام الأرضية والعبوات الناسفة[29]. وتشير التقارير إلى أن الحوثيين لم يكتفوا باستخدام الألغام الأرضية فحسب، بل زرعوا أجهزة متفجرة وألغاماً على شكل أحجار وألعاب أطفال[30].

في ظل هذه الجرائم، كيف يمكن فهم هذا السلوك الإجرامي؟

في حروبهم، عمل الحوثيون على تشييء "الآخر" العدو بالنسبة لهم، بحيث يصبح لا شيء، وبالتالي يجب "دعشنته" وسحقه في أذهان أتباعهم. فحتى قبل ان تظهر داعش في أي من مناطق اليمن كانت الحوثية تدعي انه تحارب الدواعش[31]. فتتحول "عملية إطلاق النار على طفل وقتله إلى أمر كإطلاق الرصاص على حجر، على شيء وليس على إنسان. التعبئة الإيديولوجية حاضرة في فرض هذا النوع من الحصار"[32]. خلال العامين الأولين من الحرب، كان القناصة ينتشرون في كل مكان، على أسطح المباني وفي مداخل الأحياء، حيث كان أي شيء يتحرك يتعرض للقنص، وغالبًا ما يصل إلى المراكز الطبية نساء وأطفال مصابون بطلق ناري في الرأس أو الرقبة أو الصدر، ويتضح من مسار الرصاصة أن مصدرها قناص[33].

---

[22] مقابلة مع ماهر العبسي، مدير مكتب شئون الحصار، 28 مارس/ اذار 2025

[23] كانت مديرية مشرعة وحدنان الواقعة في جبل صبر أول مديرية تتحرر بالكامل في محافظة تعز بعد معارك عسكرية انتهت في 18 أغسطس/آب 2015. للمزيد انظر: وجدي السالمي، «مشرعة وحدنان بتعز اليمنية... قصة منطقة ومعركة»، العربي الجديد، 15 يناير/كانون الثاني 2017. https://linksshortcut.com/MSOxm

[24] زارت هيومن رايتس ووتش الأحياء التي تعرّضت للقصف بالصواريخ وقذائف الهاون، ولم تجد أي أهداف عسكرية تبرّر ذلك القصف، إذ إن المقاومة الشعبية في تلك الفترة لم تكن تملك القدرة على إطلاق قذائف أو صواريخ. ومن خلال فحصها لمواقع القصف والصور، خلصت المنظمة إلى أن الحوثيين استخدموا في قصفهم للمدنيين قذائف مدفعية، وقذائف هاون، وصواريخ «غراد». وأشارت إلى أن هذه الأسلحة، لا سيما القذائف غير الموجَّهة، من الصعب أن تصيب أهدافها بدقة، وحين تُوجَّه إلى مناطق مأهولة فإنها تُصيب أهدافها بشكل عشوائي. إن الهجمات العشوائية تنتهك قوانين الحرب، وقد تُصنَّف كجرائم حرب إذا نُفّذت عن عمد أو بتهور. المثير للاستغراب أن الحوثيين لم يُعلّقوا على تلك الجرائم أو على التقارير التي وثّقتها، حتى ولو بالادّعاء بأن المقاومة الشعبية تستخدم المدنيين دروعاً بشرية، ما يُشير بوضوح إلى أن قصفهم للمدنيين كان متعمّداً. للمزيد انظر: «الحوثيون يقصفون المدنيين في تعز، جنوبي اليمن»، هيومن رايتس ووتش، 20 أكتوبر/تشرين الأول 2015، https://www.hrw.org/ar/news/2015/10/20/282447

[25] حصار تعز.. مأساة إنسانية، مرجع سابق.

[26] سقطت رويدا بتاريخ 17 أغسطس/آب 2020، وقد التقطت صورة لأخيها الأصغر وهو يسحبها من أمام عيون القناص إلى مكان آمن، وانتشرت الصورة في الإعلام على نطاق واسع. للمزيد، أنظر التقرير على قناة العربية بعنوان: اليمن – وميليشيا الحوثي: تفاصيل جديدة عن قنص طفلة الماء برصاص حوثي. https://linksshortcut.com/QDGni

[27] مقابلة مع أحد أعضاء فريق الرصد التابع للجنة الوطنية لحقوق الانسان، 28 مارس/ أذار 2025.

[28] نيكو جعفرنيا ، "الموت أرحم من هذه الحياة": تقرير بحثي عن الانتهاكات المتعلقة بالحق في المياه في تعز، هيومن رايتس ووتش، 8 ديسمبر/كانون الأول 2023. https://www.hrw.org/ar/report/2023/12/08/386666

[29] المركز الأمريكي للعدالة، القاتل الأعمى، أبريل/نيسان 2022. https://acjus.org/ar/mines-blind-killer/

[30] خلال تسعة أعوام، سقط 419 قتيلاً منهم 105 أطفال، و43 امرأة، و271 رجلاً، كما أصيب 779 منهم 189 طفلاً، و56 امرأة، و534 رجلاً، في 7 مديريات. للمزيد، انظر: حصار تعز.. مأساة إنسانية، مرجع سابق.

[31] عبد الملك الحوثي يدعو إلى "التعبئة العامة" للهجوم على جنوب اليمن فرانس 24، 23 مارس/ أذار 2015.

[32] الدكتور مصطفى الجبزي، مرجع سابق.

[33] سمية بخش وجول غانتر، «الصراع في اليمن: رعب الحياة في ظل الحصار في تعز»، بي بي سي نيوز، 1 ديسمبر/ كانون الأول 2016. https://www.bbc.com/arabic/features-38165708

يمكننا أن نستخلص أن جماعة الحوثي لا ترى العنف وسيلة لتحقيق أهداف سياسية فحسب، بل هو عرض جانبي لأمر جوهري: فهذه حركة مكونها ومحدد هويتها هو العنف الفتاك والإفناء، وتاريخها وتجربتها، وحتى استخدامهم للسلاح مجرد تعبير عن هذا الجوهر العنيف والإفنائي. لن يبدو استخدام الحوثيين الفريد للألغام عبثياً أو غير مفهوم بدون استحضار هذه الحقيقة[34].

الحرب من خلال الحاجات الضرورية للحياة

مطلع نوفمبر/ تشرين الثاني 2015، أطبق الحوثيون حصارهم على وسط مدينة تعز من الجهات الأربع، ولم يتبقى سوى "معبر الدحي" وهو طريق فرعي في أقصى جنوب غرب المدينة، ليبدأ العقاب الممنهج للسكان. من البداية كان واضحا أن هدف الحصار، استدعاء طرق أخرى لقتل المدنيين. سنتطرق هنا إلى آليات الحصار التي ستكشف بدروها الهدف النهائي للحصار وكيف ان الجماعة الحوثي فعلت ما بوسعها من أساليب الحصار لجعل الحياة غير ممكن في مدينة تعز.

منع الماء... أقدم أشكال الحصار يعود مجدداً

من نافلة القول التأكيد على أهمية المياه في حياة الناس، لكن الماء في مدينة تعز يشكل قضية خاصة، إذ تعيش هذه المدينة أزمة مياه حادة ومزمنة تعود جذورها إلى السياسات السابقة التي عجزت عن إيجاد حل نهائي للمشكلة. وتعتمد تعز بشكل رئيسي على حلول مؤقتة، حيث تقع معظم منابع المياه أو الآبار التي تزود المدينة خارج نطاقها العمراني، ما يضيف عبئاً مالياً كبيراً على المواطنين.[35]

مع بدء الحصار، بدأ الحوثيون بتضييق الخناق على تعز في ملف المياه؛ إذ منعوا دخول صهاريج المياه القادمة من وادي الضباب. وانتشرت حينها قصة المسلح الحوثي الذي تبول داخل أحد الصهاريج لجعل المياه غير صالحة للاستخدام[36]، وهو ما شكّل الدافع الرئيسي لإطلاق "مسيرة المياه" التي أعلن عنها الصحفي اليمني محمود ياسين[37]. أراد ياسين أن يجعل هذه المسيرة شبيهةً بمسيرة الملح التي قادها المهاتما غاندي ردًّا على قانون الملح البريطاني الذي منع الهنود من استخراج الملح أو بيعه، وهو ما ألحق أضرارًا كبيرة بالفقراء. لكن بينما كان القائمون على المسيرة يستعدون لانطلاقها من مدينة إب، قام جنود ومسلحون حوثيون باقتحام الفندق الذي أقاموا فيه، واعتقالهم، ومصادرة هواتفهم، وإفشال المسيرة[38]. بلغ حجم استنفار الحوثيين ضد "مسيرة المياه" حدّ الهستيريا؛ إذ انتشر مئات الجنود في محيط الفندق، وداخل الفندق كان في كل متر تقريبًا جندي، من الطابق الأول وحتى الطابق التاسع[39].

ستتضح إرادة الحوثيين في عقاب سكان مدينة تعز تدريجيًا، فقد منعوا وصول المنظمات الدولية التي تقدم مساعدات في مجال المياه والصرف الصحي، كما منعوا إعادة ضخ المياه من الأحواض الرئيسية إلى داخل المدينة، وأجبروا السكان على استخدام مياه غير صالحة وغير صحية.

يقع حوضان رئيسيان من أحواض المياه التي تغذي الشبكة العامة لتوصيل المياه في مدينة تعز تحت سيطرة الحوثيين، في حين يقع حوضان آخران على الخطوط الأمامية للقتال، ولا يمكن للمؤسسة المحلية للمياه والصرف الصحي في تعز الوصول إليها. وهناك حوض المدينة الذي لا يغطي سوى نسبة ضئيلة من احتياجات السكان للمياه، بينما الحوضان الرئيسيان الواقعان تحت سيطرة الحوثيين، واللذان كانت طاقتها الإنتاجية قبل الحرب تبلغ حوالي 10 آلاف متر مكعب من المياه يومياً، يرفض الحوثيون إعادة ضخ المياه منها. استنتجت منظمة دولية أن الحوثيين يستخدمون المياه في تعز كسلاح[40].

وقد فشلت على مدى ستة أعوام وساطات محلية بدأت في العام 2019 في إقناع الحوثيين بإعادة ضخ المياه، بالرغم من رضاهم عن كافة مطالب الوساطات، والتي شملت توفير مشتقات تشغيل مولدات الضخ، وشملت منطقة الحوبان الواقعة تحت سيطرة الحوثيين بإعادة توزيع المياه، وجعل تحصيل فواتير المستهلكين هناك من حق الحوثيين[41].

الأثر الصحي والبيئي نتيجة استخدام النفايات كأداة في الحصار

ذات النزعة العقابية تكررت في موضوع النفايات، فقبل اندلاع الاشتباكات المسلحة بين القوات الحكومية المسنودة بالمقاومة الشعبية وجماعة الحوثي، كانت الأخيرة قد سيطرت مسبقًا على مقر الإدارة العامة للنظافة الكائن في جولة القصر شرق مدينة تعز، واستولت على أصول الإدارة المادية والمتمثلة في الشاحنات والجرافات والمعدات الخاصة بنقل المخلفات الصلبة والمخصصة لجميع أحياء وشوارع المدينة. وأصبح المكان المخصص لوضع المخلفات (المَقلَب) في مفرق شرعب غرب المدينة تحت سيطرة جماعة

---

[34] أيمن نبيل، «أشتات عن الحوثية والسلام»، المشاهد نت، 10 ديسمبر/ كانون الأول 2021. https://almushahid.net/opinion/89098/

[35] United Nations Development Programme (UNDP). (n.d.). Water Availability Study in Yemen, p. 87-90. https://www.undp.org/sites/g/files/zskgke326/files/migration/ye/Water-Availability-Study-in-Yemen.pdf

[36] لمزيد من تفاصيل هذه القضية انظر، وزير يمني: «ما يحدث امتهان للكرامة.. الحوثي يتفنن في صناعة الموت»، راي اليمن، 25 سبتمبر 2019. https://raialyemen.com/news8842.html

[37] قبل انطلاقها إلى تعز.. الحوثيون يعتقلون منظمي مسيرة الماء، الموقع بوست، 12 أكتوبر/ تشرين الأول 2015. https://www.almawqeapost.net/news/2544

[38] مقابلة مع أحد معتقلي مسيرة الماء (طلب عدم الكشف عن هويته). أُجريت المقابلة مباشرة بتاريخ 23 مارس/آذار 2025.

[39] نفس المرجع.

[40] نيكو جعفرنيا، مرجع سابق.

[41] مقابلة مع باحث مهتم بأزمة المياه في تعز، طلب عدم الكشف عن هويته، أجريت المقابلة مباشرة بتاريخ 13 مارس/آذار 2025.

الحوثي، حيث منع صندوق النظافة والتحسين من الوصول إلى المكب، ما تسبب بكارثة بيئية داخل المدينة المحاصرة[42]. أدى تكدس النفايات في الشوارع وتحول مجاري تصريف السيول إلى مكب للنفايات وأماكن لتجمع الذباب والبعوض وانبعاث الغازات السامة، مما أدى إلى انتشار الأمراض بين السكان وتفشي الأوبئة مثل الكوليرا وحمى الضنك. كما تفاقمت الأمراض الرئوية نتيجة إحراق السكان للنفايات المتكدسة باعتبار ذلك الحل الوحيد الممكن للتخلص منها[43].

خلال الأشهر الستة الأولى من الحرب، وثقت تقارير محلية وفاة أكثر من 100 شخص وإصابة أكثر من 17 ألفًا بحمى الضنك[44]، في ظل انعدام تام لخدمات الرعاية الصحية. طالبت منظمة الصحة العالمية آنذاك بضرورة وجود ممر آمن لإيصال المساعدات الطبية، مشيرة إلى تضاعف عدد المصابين بحمى الضنك خلال أسابيع[45]. استمر الوضع ذاته في الأعوام اللاحقة، ففي عام 2019 على سبيل المثال، أصيب بالكوليرا نحو 50,000 شخص توفي منهم قرابة 100، بينما أصابت حمى الضنك 14,650 شخصًا توفي منهم 19 على الأقل[46].

ورغم أن الحوثيين أعادوا فتح طريق لمرور المسافرين، إلا أنهم رفضوا السماح بمرور شاحنات نقل النفايات ووصولها إلى المكب الرئيسي، وهو أحد مطالب الفريق التفاوضي التابع للحكومة المعترف بها دوليًا في كل المفاوضات مع الحوثيين، إلا أن الحوثيين رفضوا[47]. تنعكس التبعات الصحية لمكب النفايات البديل، الذي جرى استحداثه في حدائق الصالح غرب تعز، على حياة السكان في ظل تفشي العديد من الأمراض والأوبئة التي أودت بحياة العشرات[48]. بل إن الحوثيين يستخدمون نقابة عمال النظافة، التي أصبحت تحت سيطرتهم، كأداة لمهاجمة وإضعاف هيئة صندوق النظافة[49].

الاتصالات والانترنت في خدمة الحرب

ما يوضح أيضًا أنّ استهداف الخدمات والإضرار بسكان مدينة تعز لم يكن مجرّد نتيجة عرضية للحرب، بل مسألة ممنهجة؛ يتجلى ذلك في استخدام الحوثيين لشبكة الاتصالات والإنترنت منذ بداية الحرب بما يخدم المعارك العسكرية على الأرض، وكأداة فعّالة لإنهاك السكان ومضاعفة عزلتهم. من ذلك ما جرى رصده خلال شهر رمضان في السنة الأولى من الحرب، حين اشتدت المعارك فتوقفت جميع شركات الاتصالات عن العمل واختفت الشبكة باستثناء شركة يمن موبايل. لجأ السكان آنذاك إلى شراء هواتف جديدة تعمل ببطاقات CDMA لأن هواتفهم السابقة كانت تعتمد على نظام GSM. لكن عقب عيد الفطر، انقطعت شبكة الإنترنت عن تعز، وانقطعت معها خدمة "يمن موبايل" والاتصالات الأرضية، بينما عادت شبكة "إم تي إن" للعمل بشكل مقبول، فاستعاد الناس استخدام هواتفهم القديمة، ومن لم يكن يمتلك هاتفًا قديمًا سارع لشراء واحد جديد[50].

وتداول الناس في تلك الفترة معلومات مفادها أنّ الحوثيين منعوا ناقلات الديزل التابعة لمؤسسة الاتصالات من المرور، ما أدى لتوقف الشبكة، في حين أشارت معلومات أخرى إلى أنّ الانقطاع جاء نتيجة تدخل مركزي من صنعاء. ووفقًا لمراقبين حينها، فقد كان استهداف الإنترنت جزءًا من سياسة الحوثيين في حصار مدينة تعز وعزلها عن محيطها الداخلي والخارجي، كأداة من أدوات الحرب ومضاعفة معاناة السكان، ولمنع وصول انتهاكاتهم إلى وسائل الإعلام[51]. وعندما زار فريق من قناة «بي بي سي» الإنجليزية مدينة تعز في يوليو/حزيران 2023، بهدف نقل معاناة السكان عبر تغطية مباشرة، قامت شركة الاتصالات الخاضعة لسيطرة الحوثيين في صنعاء بمراقبة الخطوط، وحظر الاتصالات الواردة من لندن، وأوقفت بثّين مباشرين[52].

لقد تحولت التكنولوجيا في هذه السياقات إلى وسيلة لعزل المجتمعات المهمّشة وتحويل المدن إلى «سجون مفتوحة» عبر أنظمة المراقبة التي تخدم عملية السيطرة، وهو ما تتناوله الدراسات الحضرية ذات الطبيعة المتعددة التخصصات، بما يشمل الجوانب الأمنية والعسكرية[53]. ويشتكي سكان تعز من عدم تجاوب فرع المؤسسة العامة للاتصالات مع شكاويهم عند انقطاع الإنترنت، بحجة عدم توفر أجهزة لتتبع الكابلات الأرضية وإصلاحها، فضلًا عن عدم تجاوب المؤسسة في صنعاء مع مطالب تزويد

---

[42] حصار تعز.. مأساة إنسانية، مرجع سابق.
[43] نفس المرجع.
[44] الوضع العام في تعز، تقرير لـ شبكة تعز التنموية، أكتوبر 2015، https://www.hlrn.org/img/documents/Report%20on%20the%20General%20Situation%20in%20Taiz-October%20%202015%20(1).pdf
[45] الحاجة إلى ممر آمن لتقديم الرعاية الصحية لما يزيد على 3 ملايين إنسان في تعز، اليمن، 27 آب/أغسطس 2015، https://www.emro.who.int/ar/2015-arabic/safe-corridor-needed-to-deliver-health-care-to-over-3-million-people-in-taiz-yemen.html
[46] محمد الوتيري ووسام محمد، ورقة سياسات عن تكدس النفايات في شوارع مدينة تعز. صادرة عن منظمة مدرسة السلام. بدعم من مؤسسة فريدريش الالمانية. 2020.
[47] مقابلة هاتفية مع باحث مطلع على مجريات المشاورات بين الفريق الحكومي وفريق الحوثيين، أجريت بتاريخ 27 مارس/آذار 2025، وقد تواصل الباحث مع الأستاذ علي الأجعر عضو الفريق الحكومي للتثبت من المعلومة فأكدها.
[48] سحر محمد، «الأزمة البيئية في اليمن: التداعيات المنسية لصراع مستمر»، مبادرة الإصلاح العربي، 15 يونيو/حزيران 2023. https://www.arab-reform.net/publication/yemens-environmental-crisis-the-forgotten-fallout-of-an-enduring-conflict/
[49] مقابلة هاتفية مع أحد موظفي صندوق النظافة والتحسين في مدينة تعز، طلب عدم الكشف عن هويته، 20 مارس/آذار 2025.
[50] وسام محمد، تعز.. حرب أخرى شرسة تدور في الظل، الاشتراكي نت، 10 سبتمبر/ أيلول 2015، نسخة من التقرير موثقة يدويا: https://drive.google.com/file/d/1hjeJwkjby0uiaZf8yeIwqEForH2Hz130/view?usp=drivesdk
[51] نفس المرجع.
[52] مقابلة هاتفية مع شخص كان يعمل ضمن فريق التنسيق الفني في شركة إعلام محلية تولت استضافة فريق «بي بي سي»، طلب عدم الكشف عن هويته، أُجريت بتاريخ 3 أبريل/نيسان 2025.
[53] للمزيد انظر: ستيفن غرهام، مدن تحت الحصار: فضائح العنف السياسي وعسكرة التنظيم المدني، ترجمة ميراي يونس، بيروت: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، الطبعة الأولى، 2013.

الفرع بالمعدات اللازمة[54]. لعلّ ذلك يعود إلى السياسة المتعمدة التي سادت خلال السنوات الماضية، إضافة إلى سبب آخر محتمل يتعلق بالتعرفة التي أقرتها المؤسسة للإنترنت الأرضي في السنوات الأخيرة، والتي تجعل دفع الفاتورة بالعملة الجديدة (التي فقدت نحو 80% من قيمتها أمام العملة القديمة) أقل ربحًا[55]. وفي المقابل، وفرت المؤسسة العامة للاتصالات في صنعاء خدمة الإنترنت الجيل الرابع (G4) عبر أجهزة محمولة تعمل بإشارات شبكات الاتصالات الهوائية، رغم عدم إتاحتها رسميًا في مناطق سيطرة الحكومة، لكنها تصل إليها بشكل غير رسمي، ويتم تسديد الفواتير بالعملة القديمة، ما يتيح للحوثيين تحقيق أرباح كبيرة.

داخل حدود السيطرة العسكرية: حجيم الإجراءات الأمنية والحصار بالخوف

ما تزال تعز تُشكّل هاجساً أمنياً للجماعة الحوثية، بما في ذلك الجزء الواقع تحت سيطرتها، لإدراكها أن السيطرة العسكرية لم تجلب لها القبول الاجتماعي هناك. ولهذا يفرض الحوثيون سياجاً أمنياً مكثفاً في المناطق الخاضعة لهم من محافظة تعز؛ حيث بلغ عدد الحواجز الأمنية في الطريق الرابطة بين تعز - بدءًا من أول حاجز في منطقة الأقروض (بحسب الإحصائية التي سبقت فتح الطريق في المنفذ الشرقي في شهر يونيو 2024) - وحتى حدود مدينة إب نحو 18 حاجزاً أمنياً. ومن مدينة إب إلى صنعاء يوجد 13 حاجزًا أمنيًا آخر، ليصل بذلك مجموع الحواجز الأمنية في الطريق من تعز إلى صنعاء إلى 31 حاجزًا.

في المقابل، لا يتجاوز عدد الحواجز الأمنية في الطريق الرابطة بين محافظة صعدة مرورًا بمحافظة عمران وصولًا إلى العاصمة صنعاء خمسة حواجز فقط[56]. تكمن الوظيفة الأساسية للحواجز الأمنية في مناطق تعز الخاضعة لسيطرة الحوثيين، سواء على الطرق الفرعية أو الخط الرئيسي بين تعز وإب، في تعزيز الحصار كجزء من استراتيجيتهم تجاه تعز، التي تعتبرها المحافظة الأكثر توجساً وعدم ثقة. لكن لهذه الحواجز وظيفة قمعية أكثر بشاعة، حيث تمس حياة العابرين من خلالها، إذ تتحول إلى مصيدة للأشخاص لاقتيادهم إلى أكثر معتقلات الحوثية وحشية[57] ولتنفيذ أشكال شديدة من التعذيب[58].

ولا يتوقف الأمر عند هذا الحد، فقد تعرض سكان بعض المناطق الريفية خارج حدود الحصار لاستهداف ممنهج، مثل الحصار والقصف الذي طال قرى الحيمة التابعة لمديرية التعزية مطلع يناير/كانون الثاني 2021، مما يوضح أن أحد أهداف الحصار هو عزل مناطق تعز عن بعضها، وبناء نماذج للإخضاع القهري ضمن مجال السيطرة.

إذا أخذنا أبعاد الحصار كاملة في الريف والمدينة، يتضح وجود ثلاثة مستويات للحصار. الأول: في حدود الحصار، يبرز الطابع الانتقامي من خلال القصف والقنص والألغام. الثاني: داخل مجال الحصار، يتجسد الطابع العقابي عبر الحرمان من المياه، ومنع إخراج النفايات، والتحكم بشبكة الاتصالات، مما لا يؤدي فقط لمعاناة السكان بل يسفر أيضاً عن سقوط ضحايا. الثالث، خارج حدود الحصار، فتتجسد نماذج الترهيب المكملة للانتقام والعقاب، حيث يفرض الحوثيون سلسلة من الحواجز الأمنية على الطرق التي تربط الأرياف الواقعة تحت سيطرتهم بمحافظتي إب ولحج، ويتعرض المسافرون لانتهاكات مختلفة في تلك الحواجز، منها الاعتقال والاحتجاز في سجن مدينة الصالح الذي اكتسب سمعة سيئة خلال سنوات الحرب والحصار، في ظل حرص الحوثيين على استخدام أساليب التعذيب فيه لصناعة رمزية العنف والقهر بهدف الإرهاب وحماية حدود الحصار.

---

[54] مقابلة أجراها الباحث مع مواطنين قصدوا فرع المؤسسة العامة للاتصالات للمطالبة بإعادة خدمة الإنترنت إلى منازلهم بعد أشهر من انقطاعها، 25 فبراير/شباط 2025.

[55] مقابلة هاتفية أجراها الباحث مع مراسل صحيفة دولية في اليمن متابع لقطاع الاتصالات والإنترنت، طلب عدم الكشف عن هويته، 26 فبراير/شباط 2025.

[56] في إجازة عيد الفطر المبارك لعام 2024، التقيتُ بصديق يعمل في صنعاء ويتنقل بين المحافظات الشمالية بحكم عمله. طلبت منه إجراء إحصاء لعدد الحواجز الأمنية المنتشرة منذ أول حاجز تحت سيطرة الحوثيين وحتى وصوله إلى محافظة إب. وقد قام بذلك مشكورًا وأرسل لي الإحصائية، بالإضافة إلى بيانات عن عدد الحواجز الأمنية بين المحافظات الشمالية الواقعة تحت سيطرة الحوثيين. قررت استخدام هذه الإحصائيات في هذه الورقة مع التنويه إلى أن عدد الحواجز الأمنية بين المحافظات اليمنية شهد تغيرات كثيرة خلال العام الأخير لأسباب غير واضحة. ويرى بعض المراقبين أن هذه التغيرات مرتبطة بتطورات في منطقة البحر الأحمر والحرب الأمريكية ضد الحوثيين.

[57] خلال الفترة من منتصف عام 2015 وحتى نهاية عام 2021، رصد المركز الأمريكي للعدالة اعتقال 477 شخصًا، بينهم 29 طفلًا وثلاث نساء، كما وثق 79 حالة اختفاء قسري لمسافرين عبر تلك الحواجز، بينهم 3 أطفال وامرأة. وكانت غالبية هذه الانتهاكات تستند إلى أسباب تمييزية ترتكز على انتماء الضحايا لمنطقة معينة أو لفصيل سياسي. أغلب الذين اعتقلوا في تعز طوال هذه السنوات من الحواجز الأمنية، تم ترحيلهم إلى سجن مدينة الصالح، الذي كان في الأصل مدينة سكنية قيد الإنشاء، وتحولت مبانيها إلى سجون خاصة، لكل بناية اسم خاص: السجن العام، سجن الطلاب، سجن الكبار، سجن المجانين، وبعض الزنازين تحمل أسماء المشرفين عليها مثل بناية أبو كميل وبناية أبو ليث. ولكل بناية فريق من المعذّبين، والمعتقلون الذين تم اختطافهم من الطرقات. يفتقر سجن الصالح إلى أبسط المقومات الإنسانية، إذ لا توجد فيه فرش أو أغطية، ويضطر معظم المعتقلين للنوم على البلاط، في غرف ذات نوافذ مغلقة بالطوب والإسمنت. نظام الصرف الصحي سيء للغاية، وطعام المعتقلين دون مستوى مقبول، كما لا يسمح بإدخال الطعام من الخارج. من يحتج على هذا الوضع يُنقل إلى غرفة ضيقة مساحتها متر في مترين، تسمى "الضغاطة"، ويُبقى فيها المعتقل لأيام يأكل ويتبرز في نفس المكان. يتعرض المعتقلون في سجن مدينة الصالح لصنوف مختلفة من التعذيب، خصوصًا أثناء التحقيقات، وفق شهادات الناجين بعد خروجهم. حيث يتعرض السجناء للتعذيب والإهانة، وقد تعرض بعضهم للتحرش الجنسي، وآخرون للتعليق والإعدام الوهمي، إضافة إلى العزل التام ومنع التواصل مع الأهالي، وفرض الاعترافات تحت التعذيب، التي تُسجل وتُبث عبر وسائل إعلام الجماعة. يقع سجن مدينة الصالح على المدخل الشرقي لمحافظة تعز، على طريق العائدين من صنعاء وبقية المحافظات الشمالية الواقعة تحت سيطرة الحوثيين، أو المسافرين إليها. ويُذكر أن كثيرًا من أبناء تعز يعملون في مختلف المحافظات اليمنية ولا يعودون إلا في الإجازات، مما يجعل السجن رمزًا للقهر والعنف المستتر، وتذكيرًا بالإرهاب الاستباقي لمن يفكر في معارضة الحوثيين، خاصة مع ما يتسرب من قصص تعذيب من بين جدرانه. لذا، أصبحت المدينة/السجن جزءًا من استراتيجية الحصار، ويُستخدم التهديد بها في الحواجز الأمنية ضد المسافرين. للمزيد انظر، "حصار تعز..مأساة إنسانية/ مرجع سابق؛ "ما هو سجن الصالح؟ من هم السجناء؟"، منظمة سام للحقوق والحريات، تقرير صادر بتاريخ 1 يناير/ كانون الثاني 2025. https://linksshortcut.com/HjLDO

[58] مقابلة مباشرة مع معتقل سابق في سجن مدينة الصالح، طلب عدم الكشف عن هويته، أُجريت بتاريخ 12 مارس/آذار 2025.

الفصل الثالث: تداعيات الحصار (السياسية، الاقتصادية والاجتماعية)

لا تتوقف آثار الحصار على تعز عند المعاناة القائمة لدى السكان في الوقت الحالي، بل تمتد عميقًا لتنال من المكتسبات التاريخية لمحافظة مثل تعز، سواء على الصعيد السياسي المباشر أو في الجوانب الاجتماعية والاقتصادية، وما يعنيه ذلك سياسيًا في النهاية. في هذا الفصل، نبحث الآثار العميقة للحصار باعتبارها خلاصة للعقاب الذي أراد الحوثيون إنزاله بحق تعز، إضافة إلى بروز دوافع إضافية ومصالح باتت الجماعة تجنيها من وراء الحصار.

قد لا تعني هذه الآثار العميقة غير اليمنيين بالدرجة الأولى، فالمكتسبات التي راكمتها تعز على مدى عقود تمثل جزءًا من مكتسبات اليمنيين في عهد الجمهورية، وهي على قلتها باتت بمثابة مجال نضالي في مواجهة العودة المتوحشة للإمامة بماضيها وما تحمله من تخلف ودمار. يتطرق هذا الفصل إلى الآثار العميقة التي خلفتها الحرب، وعمق الحصار، وذلك للوقوف على عناصر القوة التي يحاول الحوثيون اليوم استهدافها لإكمال عقابهم وضمان شل قدرة تعز على الفعل.

التداعيات السياسية: تشتيت قوة تعز

بالعودة إلى خارطة التحكم والسيطرة في محافظة تعز بين الحكومة اليمنية وجماعة الحوثي حتى عام 2025، نجد أنّ هذه الخارطة، التي تُشكّل كماشة حصار، قد قسّمت المحافظة إلى نصفين شبه متماثلين من مناطق السيطرة. ورغم أنّ محافظة تعز بأكملها تعاني من الحصار، فإنّ حصار مدينة تعز - مركز المحافظة - يحمل دلالات سياسية عميقة تؤثر على المشهد اليمني ككل، وبالتأكيد على تعز نفسها بما فيها من ريف وسكان وفئات مختلفة.

تقع تعز في منطقة استراتيجية نظراً لإطلالتها على أحد أهم الممرات المائية، وهو مضيق باب المندب، لكنها أيضاً تحتل موقعاً محورياً على الصعيد الوطني إذ تتوسط الجغرافيا السياسية بين شمال اليمن وجنوبه، لتكون حلقة وصل تجارية وثقافية وسياسية في اليمن المعاصر. وتتميز المحافظة ومدينتها بطابع مدني يغلب عليه ضعف التأثير القبلي، إلى جانب درجة عالية من التسيّس[59]. كل ذلك يفسّر الدور السياسي المحوري الذي لعبته تعز في التاريخ السياسي اليمني الحديث؛ إذ أسهمت في قيام ثورة 26 سبتمبر 1962 ضد الحكم الإمامي وفي الدفاع عن النظام الجمهوري[60]، كما كانت مركزًا لقيادة ثورة 14 أكتوبر 1963 ضد الاستعمار البريطاني في عدن. وبفضل موقعها الاستراتيجي بين شمال اليمن وجنوبه، تحولت المدينة على مدى عقود إلى مركز للنضال الوطني وحاضنة للتيارات الفكرية المختلفة من يساريين وقوميين وإسلاميين.

واليوم، في ظل تراجع المشروع الوطني اليمني وصعود الهويات ما قبل الدولة مثل المناطقية والطائفية، تبقى تعز - بالنسبة لكثيرين - رمزاً لمقاومة هذه المشاريع الماضوية. لكنّ الحصار المفروض عليها منذ نحو عشرة أعوام يستهدف في جوهره هذه الرمزية ويسعى لتحطيمها وإضعاف عوامل صمودها.

شل الفاعلية السياسية لتعز وطنياً

أول ما يفعله الحصار هو تعقيد تواصل تعز مع صنعاء وعدن، وهما مركزا التأثير في المشهد السياسي اليمني، فضلًا عن منعها من التواصل مع الحديدة حتى لا ينشأ تكامل في الأدوار، شبيه بما حدث أثناء حصار القوات الإمامية للعاصمة صنعاء أواخر ستينيات القرن الماضي، حيث كان للقوات القادمة من تعز والحديدة دور حاسم في فك حصار السبعين وتثبيت النظام الجمهوري.

ولا يتوقف أثر الحصار عند حدود تعطيل دور تعز على المستوى الوطني، بل إنه يخنق فاعليتها حتى على مستوى المحافظة نفسها؛ فقوة تعز كانت دائمًا تنبع من قوة مركز المحافظة، أي المدينة، التي تميّزت تاريخياً بالتنوع والتعددية. وعندما كان هناك تواصل سلس بين المدينة ومحيطها الريفي، كان ذلك يولّد قوة سياسية هائلة.

كما يسهم الحصار في تعميق الانقسام السياسي داخل المحافظة ويغذيه. فقبل أن يتولى رئاسة المجلس السياسي الأعلى التابع للحوثيين، وأثناء عمله كمدير مكتب لعبد الملك الحوثي، أرسل محمدي المشاط وسطاء في مناسبات متعددة خلال عامي 2015 و2016 للقاء قيادات المقاومة في تعز، وتحديدًا القادة المحسوبين على حزب الإصلاح. وقد استنتج باحث أجنبي أن الحوثيين سعوا من خلال ذلك إلى ترسيخ التصورات العامة بأن حزب الإصلاح هو من يهيمن على المقاومة والسلطة المحلية

---

[59] تعود نشأة مدينة تعز إلى القرن السادس الهجري، حيث بدأت كمدينة حربية بُنيت حصونها الأولى على تل مرتفع وفي أحضان جبل يحميها طبيعيًا. ومع تطورها، كما يشير فيصل سعيد فارع في كتابه «تعز: فرادة المكان وعظمة التاريخ»، تحولت إلى محطة تجارية مهمة بفضل موقعها الذي يربط شمال اليمن بجنوبه وشرقه بغربه، خاصة في الفترات التي شهد فيها ميناء المخا التاريخي ازدهارًا. غير أنّ هذا التطور كان دائمًا مرتبطًا بالأوضاع السياسية، يتسع وينكمش بتغيّرها. تتميّز تعز بهوية مدنية مسالمة وضعف الروابط القبلية، وهي هوية تشكّلت نتيجة لتراكم تاريخي طويل منذ نشأة المدينة. فقد كان أغلب سكانها الأوائل من الوافدين الذين جاؤوا مع الحكام من خارج تعز، بل أحيانًا من خارج اليمن، سواء مع الأيوبيين أو الرسوليين أو العثمانيين. والمدن عادةً هي أماكن تتشكل فيها الهويات ويُبنى فيها رأس المال الاجتماعي بحسب ستيفن غرهام، (مرجع سابق). وقد تعزّزت هذه الهوية أيضًا بفضل قرب تعز من مدينة عدن، التي كانت مدينة كوزموبوليتية خلال القرن التاسع عشر وحتى منتصف القرن العشرين تحت الاحتلال البريطاني، وأحد أهم موانئ العالم في تلك الفترة. وأسهم أيضًا في ذلك انتشار أبناء تعز كمغتربين في دول القرن الأفريقي وإثيوبيا، ثم في الخليج ودول أخرى خلال النصف الثاني من القرن العشرين. أما الكثافة السكانية الكبيرة وقلة الموارد، فقد دفعت سكان تعز إلى العمل في مختلف المهن والانتشار في معظم مدن اليمن.

[60] على سبيل المثال، قبل كسر الحصار عن صنعاء، اضطر أحمد ربه العواضي القادم من البيضاء إلى المرور بتعز ثم إلى حيس فالحديدة، ومنها واصل طريقه للمشاركة في فك الحصار عن صنعاء.

في تعز. وفي الوقت نفسه، عملوا على تقديم حملتهم العسكرية في تعز باعتبارها حملة ضد الإصلاح أو الإخوان المسلمين، وليس ضد سكان تعز أنفسهم، إلى جانب تشجيع المعارضة الداخلية للحزب[61].

يتمثل الجانب الآخر من الآثار السياسية المترتبة على هذا الحصار في محاولة حشر تعز داخل قالب هوية أيديولوجية ضيقة، تُفضي عملياً إلى إذكاء خصومات أيديولوجية وإقليمية تؤدي في نهاية المطاف إلى تهميشها ضمن التحالفات الداعمة للحكومة الشرعية. وعملياً، يُحقق الحصار لجماعة الحوثي هدفًا مزدوجاً يتمثل في تكريس الانقسام على المستويين الوطني والمحلي؛ إذ تُسهم الصورة النمطية التي يروّج لها الحصار - والتي تُقدّم تعز كمنطقة خاضعة لهيمنة حزب الإصلاح - في إذكاء النزعات المناطقية ضد أبناء تعز في مناطق أخرى مثل عدن، فضلاً عن تسويغ التهميش الذي تمارسه بعض الأطراف الإقليمية، كدولة الإمارات العربية المتحدة، بحق المحافظة وسكانها.

وتُشير القراءة المتأنية إلى أنّ هذه الصورة النمطية لا يمكن تفكيكها أو تجاوزها إلا من خلال إنهاء الحصار، إذ إن استمرار الوضع الراهن يُكرّس انفصال المدينة عن تاريخها القائم على التعددية والمشاركة السياسية الواسعة. علاوة على ذلك، يُفضي استمرار العنف المنهج إلى تفكك البُنى الاجتماعية المحلية، فيما يؤدي التهميش الاستراتيجي لتعز إلى توليد حالة من الاستياء الشديد في أوساط السكان، وهو ما يُهيّئ بيئة خصبة لاستقطاب الشباب من قِبل جماعات إسلامية أو جماعات مسلحة أخرى، فضلًا عن استغلالهم من قبل قوى إقليمية مجاورة.

فضلاً عن ذلك، يؤدي الحصار إلى هدر فرص اقتصادية وتجارية وصناعية في مدينة كانت تُعد القلب الصناعي لليمن. وقد انعكس هذا الواقع عمليًا في انخراط أعداد كبيرة من أبناء تعز في القتال بمحافظات شمال اليمن، مثل الجوف وصعدة، ضمن تشكيلات عسكرية تقاتل تحت شعار «الدفاع عن الحدود السعودية»، وذلك مقابل الحصول على رواتب شهرية تُعوّض نسبيًا غياب فرص العمل والدخل المستقر في مناطقهم الأصلية[62].

النقطة الأهم في الأبعاد السياسية لهذا الحصار تكمن في إعادة تقييم دوافع تدشين هذه الحرب. فقد شن تحالف الحوثي وصالح الحرب بهدف تقويض فرص اليمنيين في الانتقال إلى المرحلة التالية من الانتقال السياسي، والتي كانت تعتمد على تطبيق نظام فيدرالي كصيغة حكم. كان المقترح السائد قبل اندلاع الحرب يتمثل في انتقال اليمن إلى نظام أقاليم، من ضمنها إقليم الجند الذي يضم محافظتي تعز وإب، والذي يشكل كتلة سكانية كبيرة تتميز بانسجام ثقافي ومذهبي ورأس مال بشري ومادي كبيرين.

وبديهي أن يؤدي الحصار أيضًا إلى تشظّي العائلة الواحدة بين منطقتين تخضعان لنمطين إداريين مختلفين ونظامين تعليميين وماليّين منفصلين. وهذه المسافة المفروضة تُعمّق الشروخ داخل النسيج الاجتماعي، وتُنتج توترًا يغذّيه خطاب الكراهية والتطييف المذهبي الذي تمارسه جماعة الحوثي عبر أدوات التعبئة الأيديولوجية.

هناك أبعاد اجتماعية بالغة الأهمية لهذا الحصار، من بينها إشعال الصراع الهويّاتي، وإثارة النعرات السلالية، وإحياء الانتماءات ما قبل الوطنية واستعانة الحوثيين ببعض أبناء المجتمع المحلي لقمع البعض الآخر تحت دوافع سلالية[63]. وتستحق هذه الجوانب دراسة مستقلة تُعنى بتحليل تبعاتها السياسية والاجتماعية بشكل معمق[64].

غير أن الحصار بصيغته الحالية يعمل على تقويض الهامش السياسي لكل من تعز وإب على حد سواء، ويؤدي عمليًا إلى إجهاض مشروع إقليم الجند، مما يضعف فرص تحقيق الاستقرار السياسي والتنمية الإقليمية في هذه المناطق. فوق تشتيت قوة تعز السياسية لتحقيق رغبتهم في الانتقام من المدينة التي قاومت مشروعهم، يسعى الحوثيون أيضًا إلى إنهاك السكان وشل قدرتهم على الفعل[65]. ويتضح ذلك من خلال الآثار الاقتصادية والاجتماعية العميقة الناجمة عن الحرب والحصار.

---

[61] برت سكوت، تعز بوابة السلام لليمن، منظمة ديب روت، يونيو/ حزيران 2020.
Brett Scott, The Road to Peace Runs Through Taiz: Lessons Learned from 5 Years of De-escalation Efforts in the Heart of Yemen, June 2020. https://www.deeproot.consulting/en/publications/the-road-to-peace-runs-through-taiz

[62] مصطفى ناجي (الجبزي)، «اليمن: تعز مدينة الشهيدة المنسية»، Orient XXI، 14 مايو/ أيار 2019. https://orientxxi.info/magazine/yemen-taez-ville-martyre-et-oubliee,3082

[63] عبدالله الحاج، "التفكك والإصلاح الاجتماعي في تعز"، مركز صنعاء للدراسات الاستراتيجية، 30 يناير/ كانون الثاني 2022. https://sanaacenter.org/ar/publications-all/analysis-ar/16377

[64] نتج عن إشعال الحوثيين للحرب في تعز نزوح أكثر من 270 ألفًا من السكان، إضافةً إلى بروز أشكال مختلفة من الانقسام الاجتماعي على أسس عرقية وطائفية ومناطقية، وأحيانًا لمجرد الوجود العسكري للحوثيين. فقد أدت حرب الحوثيين في تعز إلى انقسام على أساس سلالي، حيث انحاز كثير من أفراد الأسر الهاشمية إلى الحوثيين، ما جعلهم يتصادمون مع المجتمعات التي عاشوا فيها لمئات السنين. بل إن الحرب استُدعيت أحيانًا بشكل مباشر، كما حدث في مديرية مشرعة وحدنان، عندما قام أشخاص ينتمون إلى أسرة الرميمة باستقدام مسلحي الحوثي إلى الريف المطلّ على جنوب غرب مدينة تعز، ونُصبوا دبابة عسكرية هناك لقصف السكان، مما أدى إلى اندلاع معارك بين الحوثيين وأهالي المنطقة، انتهت بهروب الموالين للحوثيين وتركهم لمنازلهم خلفهم. وقد استدعى هذا الأمر، في حالات أخرى، ردود فعل انتقامية. كما تبنى الحوثيون خطابًا طائفيًا يوصم كل من يعارضهم بأنهم «دواعش» و«تكفيريون»، وبالمقابل نشأ خطاب طائفي مضاد يصف الشيعة، وحتى أتباع المذهب الزيدي، بأنهم «روافض» و«مجوس». وكان الانقسام المناطقي هو الأكثر تأثيرًا على النسيج الاجتماعي؛ فمع إشعال الحوثي وصالح للحرب في تعز، انحازت معظم المعسكرات المرابطة في المحافظة إلى صف القادمين من خارج تعز، وكذلك بعض السكان الذين مضى على استقرارهم في المدينة عقود طويلة. على سبيل المثال، كانت منطقة «الجحملية» في المدينة معروفة كمركز للقادمين من صنعاء ومحيطها إلى تعز، خاصةً عندما اتخذها الإمام أحمد بن يحيى عاصمةً لحكمه (1948–1962)، ثم لاحقًا عندما أصبح علي عبد الله صالح قائدًا عسكريًا للمحافظة. وفي هذه المنطقة انصهرت الانتماءات المذهبية للزيدية والشافعية، وقبلها الانتماءات المناطقية. إلا أنّ هذه الاعتبارات عادت للظهور مجددًا بفعل ما أحدثه الصراع الجاري من ارتداد نحو تصنيفات ما قبل وطنية للمختلف.

[65] المرجع نفسه.

الاقتصاد السياسي للحصار

بلغت تقديرات خسائر القطاع الإداري للدولة في تعز جراء الحرب والحصار أكثر من (2.6) مليار دولار أمريكي، بالإضافة إلى فقدان 12,262 موظفًا من قوة العمل، توزعوا بين قتلى وجرحى، إلى جانب نازحين لم يتمكنوا من العودة إلى أعمالهم[66]. كما فقدت الدولة ما يُقدّر بنحو 55 مليار ريال سنويًا منذ بداية الحرب وحتى الوقت الحاضر، مقابل الضرائب التي كان يوردها كبار المكلفين لموازنة الدولة[67]، ومعظمها كانت تأتي من ضرائب المصانع الواقعة شرق المدينة والتي أصبحت تحت سيطرة الحوثيين، ليُشكّل ذلك ما يمكن تسميته بـ"الاقتصاد السياسي للحصار"، حيث يُصبح هدفه الحصول على إيرادات ضخمة تُخصص لتمويل الحرب والحصار المفروض على المدينة، ويكون الأثر الأول لذلك هو حرمان الخدمات العامة من التمويل[68]. وتُقدر ضرائب المصانع بأكثر من 25 مليار ريال سنويًا، ما يمثل حوالي 8% من إيرادات الدولة من غير المشتقات النفطية[69].

بالإضافة إلى ذلك، تقوم جماعة الحوثي بابتزاز الشركات والبيوت التجارية تحت مسمى الزكاة، حيث تُجبر مجموعة شركات هائل سعيد أنعم، على سبيل المثال، على دفع مبلغ سنوي يقدّر بـ 2 مليار ريال عن كل شركة محدودة. وتمتلك بيت هائل 12 شركة محدودة في تعز. وكانت هذه الشركات تدفع قبل الحرب للدولة تحت مسمى الزكاة ما لا يتجاوز 40 مليون ريال. ولا يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل تفرض جماعة الحوثي أنواعًا مختلفة من "الإتاوات"، بما في ذلك دعم منظمات تابعة لها ونسبًا تضاف على أسعار السلع لصناديق أنشأتها، مثل صندوق المعلم[70].

أدت الحرب والحصار أيضًا إلى هجرة المستثمرين ورأس المال خارج مدينة تعز، حيث تشير بيانات الغرفة التجارية والصناعية في تعز إلى أن عدد المنشآت التجارية والصناعية كان قبل الحرب حوالي 13,500 منشأة عاملة، ولم يبق منها حاليًا سوى 65 منشأة مسجلة في سجلات الغرفة، في حين أن البقية إما مفقودة أو مغلقة بسبب الأضرار التي لم تُعالج أو بسبب نزوح أصحابها وعجزهم عن العودة لمزاولة أنشطتهم بسبب الحصار[71]، ما أدى إلى إضعاف كبير في الحركة التجارية والصناعية في المحافظة. وساهم ذلك في ارتفاع معدلات البطالة وزيادة نسبة الفقر بين السكان، حيث تجاوز مؤشر الفقر المطلق 80% من سكان المحافظة بدلاً من 36% قبل الحرب والحصار، بينما تجاوزت نسبة البطالة 90% من قوة العمل مقارنة بـ 46% قبل الحرب، وفقًا لتقارير رسمية ومعطيات عن الوضع الاقتصادي في المحافظة[72].

ترك الحصار آثاراً عميقة في حياة الناس وفي ظروفهم المعيشية، إذ أدى إلى ارتفاع أسعار السلع الأساسية بنسبة 35% وفق تقديرات مكتب شؤون الحصار[73]. ويُعزى ذلك إلى غياب أي طريق رسمي مباشر في تعز، حيث أصبحت جميع الطرق فرعية تمر عبر جبال وعرة، مما أدى إلى تضاعف وقت التنقل مرتين مقارنةً بالسابق. فالسفر من تعز إلى عدن، الذي لم يكن يستغرق أكثر من 3 ساعات، أصبح يستغرق ما بين 9 إلى 12 ساعة، وكذلك الحال في السفر إلى الحديدة، وهاتان المدينتان تستقبلان المواد الأولية عبر موانئها. ساهم هذا الوضع في ارتفاع تكاليف نقل البضائع والسلع الأساسية، لا سيما في ظل نقص إمدادات الوقود وارتفاع أسعار البنزين، مما أثقل كاهل عدد كبير من اليمنيين الذين يعتمدون على التنقل البري[74].

للوصول إلى السلع واحتياجات السكان الأساسية في المدينة المحاصرة، هناك طريق وحيد يمر عبر خط الضباب ثم مديريات الريف الجنوبي وصولاً إلى هيجة العبد ثم سائلة المقاطرة، ومن ثم محافظة لحج، وأخيراً إلى عدن. وهذا هو المسار ذاته الذي تسلكه الشاحنات ومركبات نقل البضائع والمسافرين للعودة. وتشير إحصائيات مكتب شؤون الحصار في تعز إلى أن الطرق الوعرة والبديلة التي اضطر السكان لاستخدامها خلال استمرار الحصار تسببت في وقوع نحو 481 حادثاً مرورياً، نتج عنها 374 حالة وفاة و966 إصابة، مع خسائر مالية قُدرت بـ 475 مليون دولار[75]. أما التنقل داخل المدينة من وسطها إلى أطرافها، والذي كان يستغرق عادةً حوالي 15 دقيقة، فقد تضاعف ليصل إلى 6 ساعات عبر طرق فرعية ووعرة، واستمر هذا الوضع طوال تسع سنوات، ما أدى إلى ارتفاع كبير في تكاليف الوقت والجهد والمخاطر المرتبطة بالسفر[76].

واستمر هذا الشكل من العقاب الجماعي رغم قيام جماعة الحوثيين في الثالث عشر من يونيو/ حزيران 2024 بإعادة فتح طريق يربط وسط مدينة تعز بالمدخل الشرقي لمنطقة الحوبان، إلا أن هذا الإجراء لم يخفف كثيرًا من أعباء الحصار. فبالرغم من تخفيف معاناة المسافرين عند التنقل بين وسط المدينة وشرقها، أضاف تدفق العائدين مزيدًا من الأعباء على المدينة المحاصرة في ظل تهالك الخدمات العامة واستمرار صعوبات وصول السلع والإمدادات الأساسية. كما رفضت جماعة الحوثي فتح طريق

---

[66] د. محمد علي قحطان، الحرب والحصار على تعز: خسائر بمقدورها إعمار دولة، منصة خيوط، 31 أغسطس/ آب 2023.
https://www.khuyut.com/blog/war-seige-taiz
[67] المرجع نفسه.
[68] مقابلة عبر الهاتف مع د. محمد القاهري، أستاذ الاقتصاد، بتاريخ 15 مارس/آذار 2025.
[69] مصطفى ناجي، مرجع سابق.
[70] مقابلة عبر الهاتف مع ناشط مدني مهتم برصد الانتهاكات التي يتعرض لها القطاع الصناعي والتجاري، طلب عدم الكشف عن هويته، بتاريخ 18 مارس/آذار 2025.
[71] د. محمد علي قحطان، مرجع سابق.
[72] نفس المرجع.
[73] مكتب شؤون الحصار، مكتب تابع للسلطة المحلية في تعز التابعة للحكومة المعترف بها دوليًا، أُنشئ في مارس/ آذار 2024؛ وقد وردت النسبة التقديرية في إحاطة قدمها مدير المكتب بتاريخ 15 يونيو/ حزيران 2024.
[74] كيسي كومبس وصلاح علي صلاح، «أوزار الحرب على طُرق اليمن»، مركز صنعاء للدراسات الاستراتيجية، 26 يناير/ كانون الثاني 2023.
https://sanaacenter.org/ar/publications-all/main-publications-ar/19410
[75] إحاطة قدمها مدير مكتب شؤون الحصار في تعز، 15 يونيو/ حزيران 2024.
[76] د. محمد القاهري، مرجع سابق.

عصيفرة – الستين الذي يسهل مرور الشاحنات الثقيلة ونقل البضائع إلى المدينة، وأصرت بدلاً من ذلك على فتح طريق فرعي غير معبد يربط خط الستين بمدينة النور الطبية شمال مدينة تعز من الجهة الجنوبية، وهو ما اعتُبر محاولة لتحقيق أهداف عسكرية[77].

تبعات الحصار على التعليم... ضرب عصب التنشئة الجمهورية

يُعدّ قطاع التعليم في تعز واحداً من أكثر القطاعات تضرراً جرّاء حرب وحصار الحوثيين للمدينة. ولم يكن ذلك مجرّد أثر جانبي للحرب والحصار، بل إن الإضرار بالتعليم يُمثّل أحد الأهداف المعلَنة التي تتبناها جماعة الحوثي بشكل صريح. إذ تدرك الجماعة تمامًا ما يمثله التعليم الحديث من تهديد لمشروعها السياسي والاجتماعي الذي تعود جذوره إلى زمن الإمامة. فقد كان التعليم هو الأداة التي مكّنت ثورة 26 سبتمبر من بناء واقع مغاير للواقع الذي ساد لعقود قبل اندلاعها. من هذا المنطلق، تتبنى جماعة الحوثي استراتيجية لتطييف التعليم، من خلال تغيير المناهج الدراسية، وإنشاء المراكز الصيفية وجعلها النشاط الرئيسي في قطاع التعليم، مع تخصيص ميزانيات ضخمة لها في المناطق التي تسيطر عليها. وبالنسبة لتعز، يُعتبر التعليم رأس مال رمزياً يُشكّل جزءاً كبيراً من قوتها وفاعليتها في المجال العام. لذا، لم تكن الخسائر في قطاع التعليم مسألة عفوية أو مجرد آثار جانبية للحرب والحصار، بل تأتي ضمن سياسة متعمّدة لإلحاق الضرر بهذا القطاع الحيوي، بينما تكثف الجماعة في مناطق سيطرتها جهودها لإعادة هيكلته وإخضاعه لرؤيتها الأيديولوجية.

تعرّضت البنية التحتية والنظام التعليمي في تعز لأضرار جسيمة؛ إذ قدّرت سلطات التعليم في اليمن تدمير أو تضرر ما لا يقل عن 369 مدرسة في مختلف أنحاء المحافظة، بشكل كلي أو جزئي[78]. وتجلّت الآثار المباشرة للحرب والحصار في تضرر المدارس، ونزوح الطلاب والمعلمين، وتعذّر وصول الطلاب إلى الجامعات. أما الآثار غير المباشرة، فتتمثل في تراجع معدلات الالتحاق بالتعليم الجامعي، ومنها انخفاض عدد المسجلين في كلية التربية.

ويمتلك التعليم بُعداً آخر أكثر أهمية، إذ يُعدّ الميدان الذي يتشرّب فيه النشء قيم الوطنية والجمهورية، وهي قيم تتناقض جذرياً مع مشروع الحوثي القائم على الطائفية والعنصرية. وإذا كان هذا الأمر ينطبق على التعليم في مختلف مناطق اليمن، فإن أهميته تتعاظم في تعز على وجه الخصوص، وهو أمر تدركه جماعة الحوثي جيداً. فعلى سبيل المثال، في بداية اندلاع الحرب، كان جزء كبير ممن التحقوا بالمقاومة الشعبية من المعلمين[79]. وفي العام الأول من الحرب، لجأ الحوثيون إلى استهداف المعلمين بشكل مباشر؛ إذ أعلنوا في سبتمبر/ أيلول 2015 أنّ من يريد استلام راتبه عليه التوجّه إلى مدينة إب، حيث قاموا باعتقال عشرات المعلمين وإيداعهم سجن الأمن السياسي[80].

الحصار بدافع الانتقام

يرتبط حمل السلاح في اليمن بمنظومة من القيم الاجتماعية المرتبطة بالهوية القبلية. وبناءً على ذلك، فإن المناطق التي تحتل فيها القيم القبلية مكانة بارزة يشهد فيها حمل السلاح انتشاراً واسعاً، والعكس صحيح. وتُعدّ محافظة تعز من المناطق التي يميل فيها انتشار السلاح إلى الانخفاض، شأنها في ذلك شأن كبرى المدن مثل عدن، حضرموت، وإب[81].

كان الرئيس السابق علي عبدالله صالح قد تكفّل بتحييد معظم التشكيلات العسكرية وأبرز قيادات الدولة (كما سيظهر لاحقاً بشكل واضح في موقف محافظ عدن عبدالعزيز بن حبتور)، بينما تكفّل الحوثيون باستمالة الحراك الجنوبي المعارض للرئيس عبدربه منصور هادي والرافض لمخرجات مؤتمر الحوار الوطني. وفيما انحازت ألوية وتشكيلات الجيش في تعز بشكل كامل إلى صف الحوثي وصالح، كانت القوات القليلة المتبقية حول الرئيس هادي في عدن أقل عددًا حتى مما كان لدى الفرقة الأولى مدرع قبل سقوط العاصمة صنعاء.

كان حمل الناس للسلاح في تعز ومقاومتهم لقوات الحوثي وصالح صادماً وغير متوقع، كما حدث أيضاً في عدن. لم يكن الحوثيون وصالح يتصورون أنهم سيواجهون مقاومة مسلحة؛ فقد كانت تقديراتهم تقوم على أساس معركة خاطفة تنتهي سريعاً. وغاب عنهم في تلك التقديرات عامل جوهري، وهو أن الحراك الجنوبي السلمي الذي انطلق في العام 2007 وقدم تضحيات كبيرة، إلى جانب ثورة فبراير التي أعادت الناس إلى المجال العام وكسرت حاجز الخوف ورفعت سقف المطالب على أساس المواطنة المتساوية، قد أسهما في تضييق المسافة بين الناس وبين السلاح، فتهيأت لدى قطاعات شعبية واسعة إرادة واستعداد ذاتي لحمل السلاح دفاعاً عن حياتهم وتطلعاتهم.

لذا يمكن القول إن الإمعان في حصار تعز والتنكيل بأهلها كان ردّة فعل على خيبة الأمل في السيطرة الكاملة من ناحية، ومن ناحية أخرى يُعدّ الحصار، بنسخته القاسية واللاإنسانية رغم الروابط الاجتماعية التي تجمع اليمنيين، انتقاماً سياسياً. ذلك لأن تعز أربكت حسابات الحوثي وصالح، وأعاقت مشروعهما، فإذا لم يكن بالسيطرة على

---

[77] وسام محمد، «إعادة فتح منفذ إلى مدينة تعز المحاصرة: بين تخفيف معاناة السفر واستمرار الأعباء الاقتصادية»، مركز صنعاء للدراسات الاستراتيجية، 18 أكتوبر/ تشرين الأول 2024. https://sanaacenter.org/ar/the-yemen-review/july-sept-2024/23655

[78] ألكسندر كوشنبرغر، تعافي قطاع التعليم في اليمن من الاستهداف، مركز صنعاء للدراسات الاستراتيجية، ٢٧ مارس/ آذار ٢٠٢٥.
https://sanaacenter.org/ypf/ar/recovering-from-attacks-on-education-in-yemen/

[79] وجدي السالمي، «كلنا مقاومة»... أبعد من مجرد شعار في تعز، العربي الجديد، 26 أغسطس/ آب 2016.https://linksshortcut.com/JlQHU

[80] مقابلة عبر الهاتف مع معتقل سابق في سجن الأمن السياسي بمحافظة إب، طلب عدم الكشف عن هويته، صادف عشرات المعلمين من محافظة تعز في نفس السجن، وأخبروه بأنه تم استدراجهم واعتقالهم، أجريت بتاريخ 12 مارس/ آذار 2025.

[81] هناك دراسات عديدة تتناول هذه النقطة ونذكر منها :
Miller, Derek B.. "Demand, Stockpiles, and Social Controls: Small Arms in Yemen." Small Arms Survey Occasional Paper No. 9, MAY 2003. https://www.smallarmssurvey.org/sites/default/files/resources/SAS-OP09-Yemen.pdf?utm_source=chatgpt.com

كامل البلاد، فعلى الأقل السيطرة على الشمال ضمن حدود التشطير السابقة. فقد فُرض الحصار بتوافق الحوثيين وصالح باعتبارها "أن تعز جزء مما كان يُعرف باليمن الشمالي، والذي إذا بقي تحت سيطرتها، سيُسهل لاحقاً التمدد والسيطرة على الجنوب. إضافة إلى ذلك، كان لكل طرف دوافعه الخاصة: فقد كان صالح يريد الانتقام من محافظة مثّلت رافعة للثورة الشعبية التي أسقطت نظام حكمه، بينما الحوثي أراد الانتقام من محافظة وضعت حدًا لتمدد مشروعه الطائفي[82]".

ولأن تحرير اليمن وخلاصه من المشروع الطائفي للحوثيين مرهون بتحرير تعز، فقد كان هذا الوعي حاضراً منذ اللحظة الأولى لانفجار المقاومة [83]. ومركزية تعز في الحسابات السياسية حاضرة في أذهان الحوثيين ايضاً. فقد تعاملوا مع تعز ضمن خلفية تاريخية تعتبر مناطق شمال اليمن ملكاً لهم[84]، ولا يحق لأحد التمرد عليها، إذ يرون أنفسهم "ورثة نظام الإمامة. وبالتالي، فإن التمرد المفاجئ منهم يستحق عقوبة قاسية جداً، وفقًا لتوجه معروف يقوم على إنزال أشد أنواع العذاب على المناطق التي تمردت عليهم"[85]. قد يستغرب البعض كيف استطاع هذا الحصار أن يمتد لعشرة أعوام، لكن يتضح أن جدوى الحصار بالنسبة للحوثيين قد ازدادت، بل وتضاعفت أسبابه سيما بعد انهيار تحالف الحوثي وصالح نهاية عام 2017. إذ أصبحت تعز حاضنة للطرف الذي انسلخ من هذا التحالف وأصبح مناوئاً للجماعة. ونقصد بذلك قوات المقاومة الوطنية بقيادة طارق صالح في المخا. وبالتالي أُضيف بعد جديد يجعل تعز هدفاً لسياسة أكثر عدوانية، لأنها بشكل أو بآخر أصبحت منصة تهدد وجود الحوثي الحقيقي، "حيث يمكن ان ينطلق منها طرف جديد يمثل كتلة شعبية وعسكرية وازنة إلى جانب الكتل العسكرية القائمة سابقاً. وكلما تضاعف خصوم الحوثي، شعر بالتهديد، ولا تزال تعز تمثل أحد مصادر التهديد الرئيسية"[86].

---

[82] مقابلة مع الدكتور مصطفى الجبزي، أجريت عبر الهاتف بتاريخ 20 مايو/ أيار 2025.

[83] يؤكد العميد عدنان الحمادي أنّه «لا يمكن تحرير اليمن إذا لم تتحرر تعز في المقام الأول؛ فكل تحرّر اليمن مرهون بتحرر تعز. وأيّ إنسان يرى غير ذلك سيظل يقاتل الميليشيات إلى ما لا نهاية، وسنصل في النهاية إلى تسوية سياسية ناقصة لا تلبي طموحات وتضحيات شعبنا. سنحرر تعز واليمن معًا، وقد فهمت قيادة التحالف هذا الواقع بشكل أعمق وستعمل على تحرير تعز قبل صنعاء. لكن يجب أن نعتمد في المقام الأول على أنفسنا وعلى شعبنا، حتى لا يُؤخذ منا النصر على حين غفلة». للمزيد، انظر، مقابلة عدنان الحمادي مرجع سابق.

[84] يُورد رئيس الوزراء اليمني السابق أحمد عوض بن مبارك أن عبد الملك الحوثي، زعيم الجماعة، في عام 2014 وخلال مفاوضاتهم مع المبعوث الخاص للأمم المتحدة آنذاك جمال بن عمر، أكد أن الشمال لهم والجنوب كذلك، مع تلميح باستخدام القوة لفرض هذا الأمر. انظر،
https://alraseefpress.net/index.php?p=news_details&id=7424

[85] الدكتور مصطفى الجبزي، مرجع سابق.

[86] نفس المرجع.

الخاتمة

يتضح لنا من خلال تحليل التسلسل التاريخي للأحداث التي أدت إلى ظهور هذا الحصار وآلياته المتعددة وأشكاله، الاستنتاجات ما يلي.

شكل اندلاع المقاومة الشعبية في تعز صدمة قوية للحوثيين وحليفهم صالح، ففرضوا الحصار بدوافع انتقامية واستمروا فيه لعقد كامل كعقاب. قدمت تعز نموذجاً فريداً، إذ رغم انقسام مجتمعها وترددها في حمل السلاح، إلا أنها في لحظة الخطر جمعت صفوفها خلف المقاومة دفاعًا عن الثورة والجمهورية، متماهية مع إرثها النضالي والمدني.

تشكل التداعيات السياسية والاجتماعية والاقتصادية مجمل المعنى السياسي للحصار، وهو معنى يتجاوز اهتمام المجتمع الدولي أو المؤسسات الحقوقية، ليصبح في المقام الأول هماً لأبناء تعز، يليهم القوى السياسية والحكومة، ثم جميع اليمنيين المعنيين بمواجهة جماعة الحوثي والتخلص من أضرارها.

الحصار الطويل لا يقتصر أثره على الدمار المادي فحسب، بل يعيد تشكيل النسيج السياسي والاجتماعي بشكل جذري، ويولد ديناميكيات معقدة يصعب إدارتها حتى بعد انتهاء الصراع، ما يستدعي حلولاً شاملة تعالج الجذور السياسية للأزمة، لا مجرد تداعياتها الإنسانية.

أوضح فحصنا التاريخي والتحليلي أن الخطوات الأولى التي اتخذتها جماعة الحوثي للتوغل خارج نطاقها المذهبي، خصوصاً في تعز، كانت استغلال الفراغ الذي خلفته ثورة فبراير لتثبيت موطئ قدم لها في المحافظة، عبر بناء تحالفات مع أسر ذات خلفيات فكرية واجتماعية متقاربة، حيث استقطبت بعض أفرادها وأرسلت آخرين إلى إيران لتلقي دورات عسكرية.

وبالنظر إلى الأساليب الوحشية التي تمارسها الجماعة، يتضح أن الحوثيين يستخدمون حربًا بأساليب تقليدية، معتمدين على الحصار كأداة ممنهجة ومدروسة تهدف إلى إضعاف تعز وحرمانها من فرص الحياة والمقاومة، مع تأثير يمتد إلى المستقبل. ويرجع ذلك إلى عجزهم عن تحقيق أهدافهم عسكريًا في البداية، مما أدى إلى خروج النتائج عن سيطرتهم.

عند استعراض أبعاد الحصار في المدينة والريف، تظهر ثلاثة مستويات: الأول، على حدود الحصار، يتسم بالطابع الانتقامي من خلال القصف والقنص وزرع الألغام. الثاني، داخل الحصار، يتجسد بطابع عقابي عبر الحرمان من المياه، منع إخراج النفايات، والسيطرة على الاتصالات، ما يؤدي لمعاناة السكان وسقوط ضحايا. الثالث، خارج نطاق الحصار، يتمثل في نماذج الترهيب عبر الحواجز الأمنية المنتشرة على الطرق بين الأرياف الخاضعة للحوثيين ومحافظتي إب ولحج، حيث يتعرض المسافرون لانتهاكات واعتقالات، لا سيما في سجن مدينة الصالح الذي اكتسب سمعة سيئة جراء ممارسات التعذيب والإرهاب.

يمتد الحصار ليشمل مساحات واسعة من المحافظة، وليس المدينة فقط، ويطال جميع السكان بمن فيهم القاطنون تحت سيطرة الحوثيين، ليصبح أداة عقابية تستهدف المدنيين قبل أي أهداف عسكرية، مخالفًا بذلك قواعد القانون الدولي الإنساني التي تحرم حصار المدنيين وتدمير مقومات حياتهم. كما يخالف مبادئ التمييز والتناسب والإنسانية، وينتهك البروتوكول الإضافي الثاني الملحق باتفاقيات جنيف، الذي يمنع تجويع المدنيين كأسلوب قتال، ويدين تدمير الأعيان الضرورية لبقائهم، بما في ذلك شبكات المياه. ويُعد استهداف المرافق الصحية أو تجويع المدنيين جرائم حرب وفق نظام روما الأساسي. رغم ذلك، يواصل الحوثيون منع الماء، وإخراج النفايات، وإدارة الاتصالات لضمان أهداف أمنية وعسكرية، ما يشكل نموذجًا واضحًا لاستهداف ممنهج لكافة جوانب الحياة.

تُعد الآثار العميقة للحصار هدفاً قائماً بذاته، إذ تسعى الجماعة إلى إنهاك السكان، وشل قدرة المحافظة على المقاومة، وقد نجحت إلى حد كبير في ذلك. فبينما استمرت الانقسامات وتبددت الأهداف الموحدة، ظل برنامج تعز قائماً، بل تضافرت إليه مهام جديدة فرضتها الحرب وطول أمد الحصار. لذلك، يستوجب الأمر العودة إلى الوحدة حول الهدف الأساسي الذي بُنيت عليه شرارة المقاومة، المتمثل بإفشال المشروع الطائفي، ومواجهة آثار الحرب والحصار لاستعادة تماسك المجتمع وثقته في عدالة قضيته. فالمعنى النهائي للحصار سياسي، وبرنامج المقاومة سياسي بامتياز.

يعد الحصار وسيلة سياسية لتقويض الانتقال إلى مرحلة الفيدرالية، إذ يعزل تعز عن إب، وهما اللتان كانتا تشكلان إقليماً واحداً. كما يقسم الحصار تعز إلى نصفين شبه متماثلين، مما يعطل القدرة السياسية للمحافظة ويُضعف من قدرتها على أداء دورها الوطني في التحرر واستعادة الدولة. كما تؤدي الضغوطات الاقتصادية والاجتماعية إلى تدهور أحوال الناس، مما يعطل المقاومة من الداخل عبر نفور الشباب أو مغادرتهم تعز إلى مناطق قتالية أخرى بحثاً عن رواتب أكبر، وبذلك تضعف المقاومة الداخلية.

ومن هنا، تبرز ضرورة إنهاء الحصار لتمكين تعز من استعادة دورها السياسي على الصعيد الوطني.

جدول بتسلسل أحداث الحرب والحصار في تعز

م	التاريخ	الحدث
1	20 مارس/ أذار 2015	وصول ٦٠٠ مسلح إلى معسكر قوات الأمن الخاصة (الأمن المركزي) في المدخل الشرقي لمدينة تعز استعدادا للذهاب نحو عدن.
2	22-24 مارس/ أذار 2015	خروج مظاهرات الى امام مقر قوات الأمن الخاصة (الامن المركزي) رفضاً لتعزيزات حوثية وصلت إلى المدينة، جرى قمعها بالرصاص الحي ما أسفر عن مقتل 6 متظاهرين واصابة 85 آخرين. وانتقال المظاهرات الى شوارع وسط المدينة.
3	24-25 مارس/ أذار 2015	اندلاع انتفاضة شعبية في مدينة التربة مناوئة لقوات الحوثي المتجهة نحو عدن، قتل خلالها 4 من المتظاهرين وأصيب 28 آخرين فتحولت الى انتفاضة مسلحة نجحت في طرد الحوثيين ومنع مرور قواتهم نحو عدن.
4	28 مارس/ أذار 2015	مجموعة من ضباط وأفراد "اللواء 35" مدرع بمحافظة تعز، يتمردون على قائد اللواء العميد منصور محسن معيجر، بسبب تواطئه مع الحوثيين وينجحون بطرده من مقر اللواء.
5	2 أبريل/ نيسان 2015	تعيين قائد معسكر لبوزة العميد عدنان محمد الحمادي قائداً للواء 35 مدرع.
6	7 أبريل/ نيسان 2015	اندلاع معارك في محيط مقر اللواء 35 مدرع، في حي المطار القديم غرب مدينة تعز.
7	22 أبريل/ نيسان 2015	سقوط مقر اللواء 35 بيد مسلحي جماعة الحوثي وقوات من الحرس الجمهوري.
8	30 أبريل/ نيسان 2015	تشكيل مجلس عسكري للمقاومة الشعبية في تعز بعد تحول المعارك الى وسط المدينة.
9	12 يوليو/ تموز 2015	الحوثيون يغلقون المنفذ الشرقي (جولة القصر) بشكل كلي أمام حركة المشاة أيضا، بعد أن كان متاحا لهم المرور مشيا خلال ساعات النهار.
10	18 أغسطس/ آب 2015	إعلان تحرير مشرعة وحدنان كأول مديرية في محافظة تعز تنجح في دحر الحوثيين منها بعد خوض معارك عسكرية ضارية.
11	5 نوفمبر/ تشرين الثاني 2015	الحوثيون يطبقون الحصار على مدينة تعز بشكل كامل، بعد أن كانت المنافذ الأخرى تُفتح بشكل جزئي لفترات معينة. وينصبون حاجزا أمنيا في طريق فرعي بمنطقة الدحي أقصى جنوب غرب مدينة تعز ليصبح المنفذ الوحيد للدخول والخروج من وسط المدينة.
12	10 مارس/ اذار 2016	تحرير منفذ الدحي وجامعة تعز ودحر الحوثيين الى منطقة بير باشا أقصى غرب المدينة.
13	20 أغسطس/ اب 2016	فك الحصار جزئياً عن تعز من الجهة الجنوبية عبر خط الضباب الذي يربط مدينة تعز بريفها الجنوبي ثم بمحافظتي لحج وعدن.
14	13 يونيو/ حزيران 2024	الحوثيون يعيدون فتح طريق القصر في الجهة الشرقية من مدينة تعز.